شخص على هيئة قهوة

الكاتبة: هاجر محمد جمال

رقم الإيداع: 26995 / 2018

ISBN: 978-977-798-155-2

الطبعة الأولى يناير 2019

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

شَخْصٌ

على هيئة قهوة

رواية

هاجر محمد جمال

الحلم
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى الذين تشبثوا بالحب رغم المسافات وأرهقهم الانتظار،

الذين نال الحب من رَوْحِهم أكثر مما نالوا!!

"الكتابة بالنسبة لي لم تكن إلا بكاءً على هيئة سطور وليست دموعًا، أو ربما الاثنان معًا، لا أعلم إذا كنت ستقرأ ما أكتبه هذا وتشعر به أم لا، ولكن سأظل أكتب إليك مهما حدث، لعل كلماتي تكون أكثر حظًا مني وتصل إلى قلبك الذي عجزت أنا عن الوصول إليه.

لقد اشتقت إليك بشدة، اشتقت إلى حديثك ووجودك بجانبي الذي طالما أنقذني من نوبات الاكتئاب التي تصيبني لأتفه الأسباب!

أين أنت الآن؟ ماذا تفعل؟ هل تتذكرني بين وقت وآخر؟ هل اشتقت إليّ؟ اشتقت إلى سذاجتي وجنوني؟

كنت تريدني ناضجة أكثر، فهل يوجد نضج أكثر من أن أحب رجلًا مثلك؟."!

* * *

كتبت تلك الخاطرة على جهاز الحاسوب الخاص بها وأغلقته خشية أن تُتلف أزراره بسبب دموعها!

هذا هو حالها منذ فراقهما، فقدت شغف الحياة، قلّت ابتساماتها التي قلما فارقتها، لا تعلم لماذا اجتمعا ماداما سيفترقان، لماذا القدر دائما يحول بينها وبين سعادتها؟!

"وعد" فتاة تبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا، تمتلك قوامًا متناسقًا، عيناها سوداويتان، ذات بشرة بيضاء وقلب كبشرتها تمامًا، تعمل محاسبة بإحدى الشركات وتحب عملها بشدة.

تلقائية لدرجة تجعل معظم من يراها من الوهلة الأولى يظنها ساذجة أو ربما طائشة!

❋ ❋ ❋

- "برضو يا وعد لسة منمتيش؟"، قالتها "فاطمة" والدة "وعد" محدثة نفسها عندما وجدت أن مصباح غرفتها مازال مضيئًا.

طرقت الباب ثم فتحته بخفة لتجدها في عالم آخر، عالم سجنت نفسها بداخله مؤخرًا، عالم خالي من جنس البشر ومن النفاق والحقد، عالم يحتوي على الكتب والقهوة فقط، فلا الكتب ستخذلها وتُبكيها ولا القهوة ستمل منها وتنبذها.

شعرت "وعد" بوالدتها فسرعان ما ابتسمت لها قائلة: متبصليش كده عارفة إنك هتتعصبي علشان بشربها، معلش سبيني على راحتي .

- طيب مش هتكلم، بس ممكن كفاية ونامي .

- حاضر يا ست الكل، تصبحي على خير .

- وأنتِ من أهله يا حبيبتي .

خرجت والدتها وأغلقت الباب وهي تدعو الله أن يفرج كرب ابنتها.

أما "وعد" حاولت النوم كثيرًا ولكن دون جدوى، فقد تزاحمت الذكريات في عقلها واحدة تلو الأخرى، وكأنها أكثر وفاءً من أصحابها وتأبى أن تتركها وحيدة كما فعلوا.

فتحت نافذة الغرفة الخاصة بها، استجابة لنداء تلك العصفورة التي لم تكُف عن التغريد منذ نصف ساعة أو أكثر.

نظرت إلى العصفورة بحنان بالغ وأحضرت لها إناءً به ماء وآخر به طعام.

وأحضرت مذكراتها وبدأت تكتُب....

"صباح الخير، كيف حالك يا عزيزي؟

الساعة الآن السادسة صباحًا، استيقظتُ على صوت عُصفورة تغرد دون انقطاع، ابتسمت بشدة عندما تذكرت حديثنا معا ذات مرة حينما أخبرتني أنك ترسل إليّ عُصفورة لتطمئن عليّ وتنقل إليك أخباري، يبدو أنها تلك العُصفورة خاصَّتك، وتريد أن تخبرني شيئًا ما.. حسنا سأُرسل إليك معها شيئًا، ولكن ماذا لو ضلت الطريق إليك كما فعلت أنا، وأصبحت في النهاية وحيدة مثلي؟!!"

❋ ❋ ❋

منذ عامين.....

- ياربي على الفرحة، أخيرًا يا صفوة، أنا مش مصدقة نفسي والله.

- إذا كنت أنا مش مصدقة يا وعد.

- يا حبيبتي ألف مبروك، ربنا يسعدكم يارب ويتمملك على خير.

- إيه ده، مبروك حاف كده! لا يا حبيبتي، لازم تجيلي وننزل نجيب كل حاجة مع بعض .

- حاضر والله، مش محتاجة تقولي أصلا.

- ربنا ميحرمنيش منك أبدًا يا دودو يارب، سلميلي على خالتو وبلغيها بقى .

- إن شاء الله يا حبيبتي، مع السلامة .

صفوة" ابنة خالتها، تخرجت منذ عامين، وارتبطت بعبد الرحمن، تقدّم لخطبتها كثيرًا ولكن والدها كان يرفض دائمًا دون سبب مقنع، ولكن "عبد الرحمن"

لم ييأس بعد!

تقدّم إليها مرة أخرى بعد وفاة والدها ووافقت والدتها إرضاءً لرغبة ابنتها الوحيدة، أو ربما لأنها تأكدت من حبه الشديد لها وأنه يستحقها بالفعل.

- "ماما، يا ماما، أنا فرحانة أوي بجد، أخيرًا صفوة وعبد الرحمن هيتخطبوا!"، قالتها "وعد" وهي تركض نحو غرفة والدتها وتصفّق من فرط سعادتها وكأنها هي العروس.

"فاطمة": ربنا يتمملها على خير وعقبالك بقى لما أفرح بيكِ يا حبيبتي .

- رفعت "وعد" أحد حاجبيها بطريقة طفولية قائلة: قصدك يعني إنك عاوزة تخلصي مني مش تفرحي بيَّ، بس أنا بقى قاعدة على قلبك .

ضحكت والدتها ولم تتحدث فقد اعتادت على سماع هذه الجملة منها في مثل هذه المواقف.

* * *

الكثير منا يعتقد أن الزواج هو نهاية المطاف، ولكنه ربما يكون بداية جديدة لحياة أخرى، نحن من يتحكم بها وذلك باختيار الشخص المناسب الذي يشاركنا تلك الحياة.

وكان هو الحال بالنسبة لها، كانت تعتقد أن أمر اختيار شريكها يجب أن يتم بعناية فائقة وبدقة، ورفضت أن تتزوج لمجرد أن "الزواج سنة الحياة" كما يقولون. كانت تضرب بكلام الناس عرض الحائط، وأخذت عهدًا على نفسها أنها لن تتزوج إلا بمن يستحقها ويستحق قلبها الذي حفظته من أجله منذ أربعة وعشرين عامًا.

في بيت صفوة...

- أنا بحبك أوي يا ماما وفرحانة أوي بجد، أنا مكنتش متخيلة إني ممكن أتجوز حد غير عبد الرحمن .

احتضنتها والدتها قائلة: ربنا يفرحكم ببعض يا حبيبتي، أنا عاوزاكي تتعلمي حاجة من اللي حصل ده وهي إننا لازم نتعب ونمر بفترة صعبة قبل ما نوصل لأهدافنا، ونثق تماما إنها لو كانت من نصيبنا ربنا هيعطيهالنا مهما طال الوقت ومحدش هيقدر يمنعها عننا .

- قبّلت يد والدتها وضمّتها أكثر وهي تبكي، ولكن تلك المرة تبكي فرحًا وليس قهرًا .

❄ ❄ ❄

....في إحدى الشركات الكبرى بالقاهرة....

...داخل مكتب مدير الشركة تحديدا...

- "ألف مبروك ليها يا وعد ومفيش مانع من الإجازة، بس بلغي "نهى" علشان تقوم بشغلك على ما ترجعي"،

قالها "إبراهيم" مدير الشركة التي تعمل بها وعد.

رجل في العقد الخامس من عمره، شعره أسود يخالطه البياض مما يزيد هيبته .

ابتسمت وعد قائلة: شكرًا جدًا لحضرتك، بعد إذنك .

ذهبت وعد إلى مكتبها الذي يشاركها به نهى وشهاب صديقيها في العمل، طرقت الباب ثم دخلت لتجد "نهى" تضع ساقًا فوق الأخرى وترتدي بنطالًا وقميصًا أشبه ما يكون بملابس الراقصات -إن صح التعبير-، تمسك بمرآة وتضع الكثير من مساحيق التجميل على وجهها، الذي لم يعد به مكان فارغ ليحتمل المزيد من تلك المساحيق !

"وعد": صباح الخير يا نونو ياحبيبتي، إيه القمر ده.

ضمت نهى حاجبيها قائلة: أهلًا أهلًا، تبقي عاوزة مصلحة، اشجيني يا ست وعد .

وضعت وعد كفيها على وجهها تدّعي الخجل، ثم أردفت: اللي فاقساني دايمًا ومبعرفش أمثل عليها، بصراحة عوزاكي تعملي شغلي معاكِ لأني هسافر إسكندرية يومين أحضر خطوبة بنت خالتو، عقبالك يا حبيبتي .

صمتت نهى قليلًا وأكملت وضع أحمر الشفاه، ثم قالت وهي مازالت تنظر في المرآة: خلاص ماشي، بس هما يومين بس، إياكِ تطولي .

ابتسمت وعد وقبّلتها ثم قالت وهي تغلق الباب:

تسلميلي يا أحلى نهى، متقلقيش، هما يومين بالظبط

ثم أغلقت الباب وغادرت.

* * *

في بيت وعد

– عادي يا ماما نقوله أو منقلهوش، مش فارقة كتير، من امتى وإحنا في باله أصلًا !

نظرت لها والدتها بحدة وقالت بصوت مرتفع: وعد! مهما حصل متتكلميش على باباكِ كده، هو يعني مسافر علشان يلعب، ولا علشان يشتغل ويجيبلنا فلوس؟!!

وعد بصوت أقرب للبكاء: فلوس! فلوس إيه يا ماما، أنا مش عاوزة فلوس، مش عاوزة مظاهر كدابة، أنا عاوزاه "هو"، عاوزاه يكون موجود جنبي، أنا كل ما بكبر بحتاجله أكتر، بحتاجه يسندني، وأستمد قوتي منه، أنا أفتكر آخر مرة شوفته فيها وأنا في إعدادي، تفتكري هو عارف أنا عندي كام سنة دلوقتي،عايشة ازاي، بموت كام مرة لما أحس إنه لو مات مش هتفرق كتير ما هو كده كده طول عمره بعيد عني؟!

شعرت والدتها أنها محقة، لذا أشفقت عليها، وضمتها إلى صدرها بقوة، لعلها تهدأ، بينما وعد أطلقت العنان لدموعها، فقد عاشت مدة طويلة تفتقر إلى حنان والدها، كانت تريد أن يعود ويهتم بها ويرشدها، ويخفف العبء عن والدتها، ولكن الآن والدتها في نظرها هي بطلة حياتها فقد تحملت الكثير لتربيها وتعلمها، أما والدها فهو مغترب يجمع الأموال فقط، ويعتقد بهذا أنه قد قام بدوره في حياتها هي ووالدتها.

حسنًا! هذا الجانب المادي، أين الجانب المعنوي إذن؟!

*في إحدى المكاتب الهندسية بالإسكندرية *

- "مبروك يا هندسة، وربنا يجمعكم على خير إن شاء الله"، قالها "محمد" الصديق المقرب لعبد الرحمن، تخرجا في كلية الهندسة منذ خمس سنوات والآن يعملان معا.

"محمد" شاب ثلاثيني، يتميز بوسامته، طويل القامة، عريض المنكبين، لديه غمازة في خده الأيمن تزيد ابتسامته جاذبية، عندما تراه من الوهلة الأولى تعتقد أنه في العقد الرابع من عمره، ربما حزنه البادي عليه بشدة هو الذي يسبب هذا!

احتضنه عبد الرحمن قائلًا: عقبالك بقى، شد حيلك يا بطل .

نظر محمد إلى الورق في يده قائلًا: بقولك إيه يا عبد الرحمن، عاوزين نركز في المشروع الجديد، الناس مستعجلة.

شعر عبد الرحمن أنه يريد تغيير مجرى الحديث فرد بصوت يشوبه الحزن: إن شاء الله يا محمد نبدأ من بكرة لو تحب .

- هكلم الناس وهأكد معاهم على التفاصيل ونبتدي .

* * *

Am 6:00

استيقظت وعد لتعد حقيبتها استعدادًا للسفر، أعدت ما ستحتاجه في الأيام التي ستقضيها عند خالتها، ثم شرعت في إعداد حقيبة اليد الخاصة بها، فهي دائما تحتوي على أشياء ثابتة، كالكتب والروايات التي تعتبرها رفيقها في السفر.

- "صباح الخير يا وعد، خلصتي حاجتك يا حبيبتي؟"، قالتها والدتها وهي تربت على كتفها .

- آه يا ماما وهنزل بقى علشان ألحق القطر.

- طيب، افطري الأول يا حبيبتي .

- فطرت يا ماما، همشي بقى وتعالي بكرة بالليل .

- حاضر يا حبيبتي، خلي بالك من نفسك.

قبّلتها وعد وأخبرتها أنها ستطمئنها عندما تصل.

ركبت وعد القطار المتجه إلى الإسكندرية، وبمجرد أن تحرك القطار، فتحت حقيبتها وأخرجت روايتها المفضلة وبدأت تقرأ، حتى لا تشعر بالوقت.

❋ ❋ ❋

هي فتاة تعشق القراءة، ولا تجد متعتها إلا داخل رواية أو كتاب، وأصبحت مشهورة بين صديقاتها بأنها تضيع مصروفها على شراء الكتب الجديدة، وإذا غضبت منهن، سرعان ما يصالحنها برواية مغلفة بشريط من الستان، فتفرح وتحتضن الرواية وتنسى لماذا غضبت.

* * *

وبينما هي تقرأ، إذا بعينين تراقبنها بطريقة مثيرة للانتباه، نظرت وعد إلى ذلك الشخص الذي سرعان ما غيّر اتجاه عينيه حينما لاحظ أنه لفت انتباهها، وظلّا هكذا طوال الطريق!

"صباح الخير.. لو تعلم كم أشتاق إليك الآن، كم أود ضمك إلى صدري لأخبرك أن كل شيء سيكون بخير، وسيجمعنا بيتنا قريبًا، أريدك قويًا كما اعتدتك، فأنت من يمنحني القوة دائمًا، أحبك بحجم المسافات التي تفصل بيننا وبحجم شوقي إليك، ليت العالم بجمال عينيك الزرقاوتين، حينها لن يحزن أحد قط.. أوصيك بالصلاة على أوقاتها دائما كما اعتدنا، وأوصيك بنفسك فلا تحملها ما لا طاقة لها على تحمله، حفظك الله لي ولوالدتك ولكل من أُحبَّك، أحتاج إلى وجودك بجانبي الآن أكثر من أي شيء، فليُعجِّل الله بلقائنا ومن ثمّ بزواجنا".

"فريدة"

أرسلتها فريدة إلى زوجها حسام، زوجها ولكن مع وقف التنفيذ، كُتب كتابهما منذ عامين، ولكن مرّا بظروف مادية صعبة، أدت بهم إلى تأجيل الزفاف.

* * *

فريدة هي الصديقة المقربة لوعد، من يراهم يعتقد أنهم أختان، ربما لتواجدهما معًا معظم الوقت.

تمتاز "فريدة" ببشرة بيضاء، ووجنتاها دائمًا وردية، قصيرة القامة وعيناها بلون القهوة .

نهضت فريدة بسرعة لترى من يهاتفها ظنا منها أنه حسام، ولكن خاب ظنها عندما وجدت وعد .

- آلو.. صباح الفل يا ديدا .

- صباح النور يا وعد، عاملة إيه؟

- الحمد لله، صحيتك ولّا كنتِ صاحية؟

- لا يا حبيبتي صاحية، إيه الصوت اللي جنبك ده؟!

- ما هو أنا لسة كنت هقولك أهو، أنا قربت أوصل إسكندرية .

- ليه خير، طنط حصل عندها حاجة؟

- لا يا بنتي متتخضيش، دي خطوبة صفوة فسافرت علشان أبقى جنبها وملحقتش أقولك.

- فريدة بفرحة: بجد.. ما شاء الله، ألف مبروك، وابقي خليني أكلمها.

وبمجرد أن أنهت وعد مكالمتها مع فريدة، كان القطار قد وصل الإسكندرية بالفعل، واستعدت للنزول وعندما همت لترفع حقيبتها، حتى وجدت ذلك المجهول.

- عنك أنتِ شكلها تقيلة، هنزلهالك أنا.

تعجبت من جرأته، وقامت بسحب الحقيبة بشدة ثم نظرت له بجدية قائلة: شكرا لحضرتك، أنا أقدر أشيلها لوحدي، بعد إذنك.

وانصرفت بسرعة قبل أن يناقشها، وبمجرد أن وضعت أُولى خُطواتها بالإسكندرية، تنفست الصعداء، لأنها من أقرب الأماكن لقلبها منذ أن كانت طفلة، لا تعلم ما السبب وراء حبها لتلك المدينة، ولم تكن تعلم أيضا أنها ستكون سببًا في وجعها يومًا ما.

قد يحدث وترى شخصًا لأول مرة، وتشعر أنك تعرفه جيدًا، بل ربما قابلته يومًا ما وتحدثت معه أيضا، وتتمنى لو أنك تذهب إليه وتسأله هل حدث هذا بالفعل، أم أنني أتوهم ذلك، وتتساءل هل القدر سيأتي به إليك مرة أخرى، أم أنه سيمر مرار الكرام كغيره؟!

هذا ما شعر به "وائل" عندما رأى "وعد" لأول مرة، ظلّ ينظر لملامحها البسيطة بشدة، كان على يقين أنه يعرفها جيدًا، لا يعرف لماذا فعل هكذا معها، رغم أنه عكس مبادئه، بل ولأول مرة ينتابه هذا الشعور الغريب تجاه فتاة، ولم لا وهي الوحيدة التي جذبت انتباهه من الوهلة الأولى، فهو يرى الكثير من الفتيات، ويعمل معهنّ، ولم يعجب بإحداهن أو يطيل إليها النظر كما فعل اليوم!!

ولكن على أي حال سيتركها للقدر، ربما يأتي بها إليه مرة أخرى، فهو دائما يترك أمور حياته للقدر....

"وائل" طبيب يعمل بأحد المستشفيات بالقاهرة، شاب في أوائل الثلاثينيات، يتميز بالهدوء والرصانة، ذو عينين خضراوتين وبشرة بيضاء وجسد رياضي، تُوفي والداه منذ أن كان في الخامسة من عمره، عاش حياة شاقة ومرّ بالكثير من الصعاب، حتى التحق بكلية الطب.

هاتفت "صفوة" وعد وتقابلا، ثم تبادلا أحضان الاشتياق وركبا السيارة وأخيرا وصلا إلى المنزل، وعندما دخلا المنزل قبلت "وعد" خالتها وتبادلا أطراف الحديث ثم..

صفوة بفرحة: أنا مبسوطة أوي إنك جيتي وهتختاري معايا الفستان وهتشاركيني كل حاجة .

- ربنا يكمل فرحتك على خير يا حبيبتي، يلا هرتاح شوية وبالليل ننزل نشوف الفستان .

بالفعل دخلت وعد غرفة صفوة ووضعت حقيبتها على الأرض ثم ألقت بجسدها على الفراش، وأغمضت عينيها وغطت في نوم عميق .

بعد عدة ساعات أيقظتها صفوة لتتناول الغداء معهم، ثم يذهبوا لاقتناء مستلزمات الخطبة.

صفوة: ماما.. عبد الرحمن كلمني، وهييجي ياخدني أنا ووعد علشان منتبهدلش في المواصلات.

- ماشي يا حبيبتي، خلوا بالكم من نفسكم.

- "إيييه ده يا عبد الرحمن!! فين عربيتك؟!"، قالتها صفوة باندهاش حينما وجدته يعطي سائق التاكسي أجرته .

- عبد الرحمن بأسف: عربيتي عطلت بعد ما كلمتك على طول .

- طب وهنعمل إيه دلوقتي؟!

- متقلقيش أنا كلمت محمد وهييجي بعربيته، وهيفضل معانا براحتنا .

- وهنا تحدثت وعد بابتسامة قائلة: حصل خير يا باشمهندس، قدر الله وما شاء فعل .

- أكيد طبعا، حمدا لله على سلامتك، معلش انشغلت بالعربية ونسيت أسلم عليكِ .

وعد: لأ عادي أنا مقدرة، وربنا يتمملكم على خير يارب .

وهنا وصل محمد بسيارته الزرقاء، ثم صفها على أحد جانبي الطريق، ثم نزل منها، كان يرتدي بنطالًا أبيض وقميصًا أزرق، وساعة سوداء وحذاء بنفس اللون ليكمل أناقته ثم اتجه نحوهم بخطى سريعة .

محمد: آسف على التأخير، واقفين بقالكم كتير ولا إيه؟

عبد الرحمن: لأ ولا يهمك، ثم أشار للفتاتين قائلًا: يلا يا جماعة علشان نلحق نلف براحتنا .

داخل السيارة....

محمد: مبروك يا صفوة، ربنا يفرحكم دايمًا .

صفوة بابتسامة خجولة: ربنا يخليك يارب، وعقبالك يا محمد .

عبد الرحمن بمرح: ما تشغلنا حاجة تفرفشنا ياعم، عريس أنا ولا مش عريس؟

ضحكوا جميعًا، وقام محمد بتشغيل أكثر من أغنية وظلوا يصفقون ويرددون الأغاني من فرط فرحتهم، وقام عبد الرحمن بتقديم وعد لمحمد .

عبد الرحمن: دي بقى يا محمد وعد قريبة صفوة اللي حكيتلك عنها .

نظر محمد لها في المرآة وابتسم فبادلته الابتسام، ثم عادت لتنظر من نافذة السيارة مرة أخرى، لتشاهد جمال الإسكندرية ليلًا... فما أجمل شوارع الإسكندرية بعد الثامنة مساءً!

* * *

وصل وائل إلى المشفى التي يعمل بها، ولكنه كان منهمكًا في العمل أكثر من اللازم مما جعل أصدقاءه ينتبهون إلى ذلك.

حنين: وائل مكلمنيش من ساعة ما جه من المؤتمر يا سلمى .

- ولا كلمني، حتى من ساعة ما جه وهو عصبي وعمال يخلق شغل من مفيش .

- يبقى أكيد في حاجة حصلت ضايقته هناك، أو بيفكر في حاجة مثلا .

- يمكن! بس متشغليش بالك، أنتِ عارفة لو في حاجة مضايقاه هيحكيلك .

ابتسمت حنين ابتسامة بسيطة تعبر عن ألمها ثم تجمعت الدموع في عينيها وقالت: مشغلش بالي؟!!! أنتِ بتقولي إيه بس!

عارفة يعني إيه تكوني بتحبي حد وهو معاكِ كل يوم، بس مش شايفك، بيتكلم معاكِ وبتخرجوا سوا بس مش قادر يحس بمشاعرك !

عارفة يعني إيه إنك كل دقيقة تبقي مرعوبة أحسن ييجي يقولك إنه اختار واحدة غيرك وهيكمل معاها حياته!

تبقي نايمة ومش بتحلمي غير بيه، وتصحي خايفة إن دورك ينتهي في حياته!

أنا بحبه يا سلمى، بحبه أوي، أنا ووائل متربيين سوا ومن يوم ما وعيت على الدنيا وعرفت يعني إيه حب، حبيته، مش علشان مفيش غيره

قدامي، لأ بس علشان أنا مش هقدر أشوف غيره، رغم إنه مقدمليش مقابل لمشاعري دي، عرفتِ ليه بقى أنا بتعامل معاه كده؟!

ضمت سلمى حاجبيها، ووضعت يدها على فمها بصدمة، وأشفقت على حال صديقتها التي ولأول مرة تراها تبكي وتتحدث هكذا.

❋ ❋ ❋

"الحب الصامت"، أو الحب من طرف واحد...

هو إرسال دون استقبال، عطاء دون أخد، اهتمام يقابله إهمال وفتور، الحب الصامت يؤدي بصاحبه إلى مشاكل نفسية، يجعله منعزلًا عن جميع الناس، لا يرى سوى الشخص الذي يحبه فقط.

هذا النوع من الحب يحدث دون سيطرة، دون قصد، فجأة تجد نفسك في المنتصف، لا تستطيع أن تجعل الطرف الآخر يحبك، ولا تستطيع أن تمنع نفسك عن حُبه.

* * *

اختارت "صفوة" الفستان الخاص بها وقامت بشرائه هو وكل الأشياء الخاصة بها، التي ستحتاج إليها في ذلك اليوم، وقام محمد بمساعدة عبد الرحمن أيضا في اختيار بدلته .

* * *

***في بيت صفوة ***

وعد: أنتِ هتفضلي تقيسي الفستان كده كل شوية زي الأطفال يا بنتي .

صفوة وهي تنظر لنفسها في المرآة: أنتِ مش متخيلة أنا فرحانة ازاي، فرحتي بإن أخيرًا ربنا هيجمعنا عاملة زي فرحتي بالعيد كده، زمان كنت بفضل أقيس طقم العيد كتير أوي وأخده في حضني .

ابتسمت وعد وفرحت لفرحتها، ثم خلعت صفوة الفستان واحتضنته ثم ناما ليستعدا ليوم مرهق غدا، مرهق ولكنه سعيد جدا وقد طال انتظاره .

* * *

أحياناً قد يتأخر ما نريده، قد يكون شرًا لنا وسيعوضنا الله بالأفضل ويُنسينا مرارة الألم، وقد يأتي ما نتمناه بالفعل بعدما انتظرناه طويلا، وبكينا من أجل تحقيقه، وجفَّ حلقنا من كثرة الدعاء.

في النهاية يجب أن نؤمن أن خبايا القدر لصالحنا.

* * *

جاء يوم الخطبة وخرجت "صفوة" بفستانها الذهبي وكانت تبدو كأميرات ديزني، كانت جميلة للغاية وعبد الرحمن أيضا كان لا يقل جمالا عنها بل كان يبدو اليوم أكثر وسامة .

يبدو أن فرحتهما بانتصار قصة حبهما هي التي جعلتهما أجمل.

نظر عبد الرحمن لصفوة بحب قائلًا: هو ينفع أكلم طنط ونكتب الكتاب بالمرة، ميصحش كده.

- احمرت وجنتاها ولم ترد .

حدثت الطقوس المعتادة التي تحدث دائمًا في مثل هذه المناسبات، من رقص وغيره، وأخيرًا وضع عبد الرحمن دبلته في يد صفوة، ثم أغمض عينيه وقبّل يدها قبلة طويلة أمام تصفيق الجميع وفرحتهم.

يبدو أن جنون الحب يجعلنا أجمل وأكثر صدقا، وفيه نترك لقلوبنا زمام الأمور.

* * *

انسحب "محمد" دون أن يشعر به أحد ووقف بجوار إحدى النوافذ ووضع إحدى يديه في جيبه ثم أشعل سيجارته وبدأ ينفث دخانها ببطء .

وقفت وعد تراقب تصرفاته بدقة، يبدو أنه غامض وهي دائما تحب اكتشاف الأشياء الغامضة.. ويبدو أنه تذكر شيئًا عكر صفو يومه وهي بطبيعتها لا تحب الصمت والحزن، فسرعان ما تحركت بخطى هادئة نحوه، وذيل فستانها الأزرق يسير خلفها برقة.

وببراءة رفعت أحد حاجبيها قائلة: واقف لوحدك ليه يا كابتن، هو الفرح مش عاجبك!

ابتسم بتلقائية قائلًا: لا والله، ده إحنا هرمنا من أجل اللحظة دي يعني .

– حلوين أوي ربنا يتمم ليهم على خير وعقبالك .

– تبدلت ملامحه ثم قال:لأ عقبالي إيه، أنتِ بتدعي عليَّ كده.

صُدمت لردة فعله ولكنها حاولت تغيير مجرى الحديث لأنه ليس من حقها التدخل في أموره الشخصية .

وعد: طيب يلا نروحلهم بقى، أنا لاحظت إن عبد الرحمن ملوش أصحاب غيرك .

– لينا كتير، بس إحنا أقرب اتنين لبعض .

– ربنا يخليكم لبعض .

– أنتِ بتيجي إسكندرية كتير؟

– لأ كل فترة كده بنزل علشان صفوة وخالتو .

– آه عبد الرحمن دايما بيحكي عنك وعن قربك لصفوة، أنا سعيد إني اتعرفت عليكِ يا آنسة وعد .

– أنا أسعد، شكرًا.

مر يوم الخطبة بسلام وأهدت وعد صفوة صندوقًا به أشياء كثيرة باللون البنفسج الذي تعشقه، فقد أرادت أن يكون هذا اليوم مليئًا بالسعادة من أوله لآخره.

صفوة: أنا بجد مش عارفة أقولك إيه يا وعد، أنا لو كان ليَّ أخت مكانتش هتعمل كده .

– بطلي هبل ومتعيطيش، الحمد لله إن اليوم مشي زي ما كنا مرتبين ليه بالظبط .

– الحمد لله بجد، أنا فرحتي متتوصفش، كان نفسي بابا يكون معايا، ويصدق إن...

–لا بقى اخرسي، إحنا هنقلبها نكد ولا إيه، ربنا يرحمه يارب، يلا بقى علشان ترتاحي وأنا هنام علشان هسافر بكرة.

–إيه ده؟! أنتِ لحقتي !

– أنا مبشبعش منك والله، بس أنتِ عارفة ظروف الشغل.

– خلاص يا حبيبتي ماشي، هكلم عبد الرحمن ييجي يوصلك الصبح للمحطة أنتِ وخالتو .

– لالا متشغليش بالك هناخد تاكسي وخلاص .

لم تعر صفوة لها انتباها واتفقت مع عبد الرحمن أن يأتي صباحًا ليأخذها هي وخالتها إلى وجهتهما .

أتى صباح اليوم التالي واستيقظت وعد وأعدت أشياءها الخاصة بها هي ووالدتها، واحتضنت صفوة وقبّلتها وفتحت باب الشقة وانحنت لتحمل الحقائب....

وما إن همّت برفع الحقيبة، وجدت يدًا تنزعها عنها ...

محمد: عنك يا آنسة وعد، عبد الرحمن كلمني وكنت نازل القاهرة فقالي أوصلك أنتِ ووالدتك .

وعد بنبرة هادئة: شكرًا لحضرتك يا باشمهندس، بس إحنا بنرتاح في القطر أكتر.

محمد: والله الموضوع مافيهوش إحراج، طيب اعتبروا نفسكم في تاكسي يا ستي .

ابتسمت والدتها قائلة: ربنا يخليك يا بني معلش هنتعبك، خلاص بقى استسلمت وعد للأمر الواقع وانحنت لرفع الحقائب ولكن محمد منعها وفتح لها باب سيارته وأشار لها بالجلوس، وقام هو بوضع الحقائب الخاصة بهما وأدار محرك السيارة وغادروا الإسكندرية.

عندما رأى حسام الرسالة، شعر أنها بمثابة يد تحنو عليه في غربته، وحمد الله بداخله على أنه رزقه زوجة مثلها، تحبه كما هو وتقف معه في أصعب الأوقات ولا تتركه مهما حدث، وتحاول دائما التخفيف عنه، حتى ولو بأبسط الأشياء ولكنها في نظره كل الأشياء.

وقام بالاتصال بها...

- آلو.. صباح الخير يا أحلى حاجة في حياتي.

- علشان الرسالة بس، لكن أنت ناسيني أصلًا، شوف بقالك كام يوم مكلمتنيش.

- والله غصب عني بضغط نفسي في الشغل علشان أنزل قريب بقى .

- فريدة بصوت أقرب للبكاء: إيه!! بتتكلم بجد! أخيرًا هنتجوز بقى يارب، أنا تعبت.

تنهد حسام قائلًا: يعني هو أنا بقولك كده علشان تعيطي يا حبيبتي، هانت والله وهعوضك عن كل اللي فات ده ومش هسيبك لوحدك تاني أبدًا .

- ربنا يرجعك ليَّ بالسلامة يارب ويجمعنا على خير، خلي بالك من نفسك.

- حاضر يا حبيبتي، وأنتِ كمان .

* * *

"الباشمهندس محمد ده شكله طيب أوي ومحترم، ميتخيرش عن عبد الرحمن ربنا يحميهم"، قالتها فاطمة والدة وعد وهي تفتح باب البيت .

وعد: بس مكنش ينفع نركب معاه يا ماما، إحنا لسة عارفينه من كام يوم .

- بس صاحب عبد الرحمن وإحنا بقينا عيلة واحدة .

- ماشي، أنا هدخل أغير وأنام علشان هرجع الشغل تاني من بكرة .

- ماشي يا حبيبتي، تصبحي على خير .

- وأنتِ من أهله يا ماما .

* * *

أنهت وعد حمامها الدافئ الذي جعلها تشعر بالاسترخاء، وحاولت النوم كثيرًا ولكن دون جدوى، فلقد كان هناك شعور غريب يجتاحها

وهو "الفضول"، تذكرت محمد وتذكرت كيف تغيرت ملامحه إلى العنف حينما تمنت له الخطبة مثل صديقه!

هي عادة لا تشغل بالها بما لا يعنيها، ولكن لمَ تلك المرة إذن؟!! لماذا يقتلها فضولها لتعرف ماذا حدث له جعله يكره الزواج هكذا؟!!

بعد نوم متقطع، استيقظت بطلتنا وهي تتثائب، ثم أمسكت بهاتفها لتجدها السابعة صباحا، فسرعان ما قفزت وحاولت تحضير أشيائها سريعا، ثم ارتدت ملابسها، وفتحت باب الغرفة على والدتها، لتجدها نائمة فلم تُرد إزعاجها، فأغلقت الباب، وغادرت المنزل.

* * *

داخل المشفى.....

- "مالك يا وائل؟ أنت مش حاسس إنك بقالك أسبوع متغير!"، قالتها "حنين" وهي تنظر لعينيه بقوة، لعلها تستطيع كشف أغواره، هي تعلم أنه شخص كتوم لأبعد الحدود ولكنها تحبه ولا تحب أن تراه مهمومًا هكذا، حتى إن لم يبادلها نفس المشاعر، فهم على الأقل أصدقاء وهذا واجبها تجاهه.

- "بتقولي حاجة يا حنين؟"، قالها وائل وهو يقلب في أوراقه على المكتب.

- بقول حاجة!! يعني أنا قاعدة بقالي نص ساعة، وأنت مش حاسس بيَّ!

- آسف يا حنين، مشغول شوية بس، كنتِ بتقولي إيه بقى؟

- آه طيب، ربنا معاك، أسيبك أنا بقى للشغل .

- تمام، اطلبي حاجة نشربها وهاتي الورق وتعالي نكمل شغل سوا .

- تمام .

غادرت المكتب وفي قلبها وعقلها مئات الأسئلة..

- ماذا حدث له جعله منشغلا هكذا؟

- هل يتصنع البرود لأنه فهم حقيقة مشاعري؟!

- لا لا، أنا أكتمها جيدا وأتصرف معه بعقلانية .

- هل وقع في الحب ويريد إخفاء هذا الأمر؟!

- يا إلهي!! إن حدث هذا سأقتله قبل أن أقتلها هي الأخرى، لن أتحمل هذا الأمر قط.

ظلت حنين على هذا الوضع أكثر من عشر دقائق، حتى رأتها سلمى، فأسرعت نحوها تضرب كفًا على الأخرى قائلة: لاحول ولا قوة إلا بالله، هو وائل خلاكِ تكلمي نفسك؟!

- إيه ده.. سلمي! جيتِ امتى؟

- أنا لسة واصلة من شوية، يادوب فطرت وطلعت أهو، المهم كنتِ جوه عنده، قالك إيه؟

ضغطت على أسنانها بقوة وقالت: حرق دمي يا سلمي، قاعدة نص ساعة معاه وهو بيشتغل ولا معبرني .

ضحكت سلمى بقوة مما أغضب حنين، فنظرت لها بعصبية، ثم لكمتها في كتفها وغادرت مسرعة .

سلمى: استني بس يا مجنونة، أنا آسفة مش هضحك.

وأسرعت خلفها ولكن حنين لم ترد عليها وأكملت طريقها.

* * *

وصلت وعد إلى مقر الشركة التي تعمل بها، ثم اتجهت إلى مكتب مدير الشركة، وطرقت عدة طرقات حتى أذن لها بالدخول.

وما إن فتحت الباب حتى وجدت "إبراهيم" ومعه شخص آخر .

إبراهيم بابتسامته المعتادة: حمدًا لله على السلامة يا وعد، الشركة كانت مضلمة .

ابتسمت وعد ثم ردت بهدوء: ربنا يخلي حضرتك، متشكرة جدًا، أنا جيت أبلغ حضرتك إني رجعت.

- تمام، اتفضلي على مكتبك وخلي نهى توضحلك الشغل اللي تم في إجازتك.

- حاضر، بعد إذنك .

- اتفضلي يا بنتي .

أغلقت الباب ثم اتجهت إلى مكتبها، فتحت الباب الخاص به فوجدت نهى كما تركتها، تمسك بالمرآة وتضع مساحيق التجميل .

ضحكت وعد بشدة عندما رأتها ثما قالت: كأني سايباكِ امبارح والله، كفاية روج بقى يا بت.

- أهلا أهلا.. الهانم شرفت، هتحكيلي عملتي إيه في إسكندرية بس لما آجي .

- تيجي منين؟

- رايحة لمستر إبراهيم، عاوزة أسأله على حاجة.

- أنا كنت عنده دلوقتي، وقالي خلي نهى تقولك على الشغل اللي خلصتوه وأنا في الإجازة .

- مش مهم ده كله، قوليلي هو في معاه حد؟

وعد دون فهم: حد؟ حد زي مين؟ آه.. آه صح، في شاب غريب كده قاعد معاه بس أنا أول مرة أشوفه .

نهى بارتياح: الحمد لله إنه لسة ممشيش، اوعي بقى أما ألحقه قبل ما يمشي.

غمزت لها وعد: أها قولتيلي بقى، ده اللي بتحطي ميك أب وعمالة تظبطي نفسك علشانه؟

- أيوه بالظبط، ووسعي من طريقي بقى قبل ما يمشي وكل اللي عملته ده يبقى على الفاضي.

لم تنتظر حتى تتحرك وعد بل دفعتها بقوة، ثم فتحت الباب وخرجت مُسرعة.

ضحكت وتمنت في سرها من الله أن يهدي حال صديقتها، فهي كثيرًا ما أخبرتها ألا تبالغ في زينتها هكذا وأن تتعامل بطبيعتها ولا تتصنع، لأن من سيحبها لمظهرها، أو لطريقتها المصطنعة سيمل سريعًا عندما تظهر له

حقيقتها، أما الذي يحبها لكونها هي دون أي تغيير في طبيعتها سيظل بجانبها دائمًا، لأن الطبيعة هي التي تبقى لمدة أطول.

* * *

في بيت صفوة

صفوة بحزن: أنت متغير ليه يا عبد الرحمن بقالك فترة، مالك؟

– مش متغير يا حبيبتي والله، أنا متضايق عشان محمد، كل يوم بيتغير للأسوء وسكوته قالقني .

– معقول بيحبها للدرجة دي!

– هو بيحبها فعلا، بس اللي فارق معاه أكتر إنهم كانوا متفقين على كل حاجة، وبعدها تتخطب لواحد تاني!

– يبقى متستاهلوش، ولازم ينساها ويعيش حياته، الحزن كبّره أوي وخلاه شخص تاني غير اللي كان أيام الجامعة .

– زهقت من كتر الكلام، عملتله كل حاجة عشان أساعده بس هو للأسف معيش نفسه جُوه الدايرة دي ومش عاوز يخرج منها .

– ربنا يسامحها علياء دي مكان ما هي موجودة .

– عبد الرحمن بأسف: أنا ياما يا صفوة قولتله البنت دي مش شبهك، لا لبسها ولا طبعها زينا، لكن هو مسمعش كلامي.

نظرت صفوة له بحزن شديد، فهي تعلم كم يحب صديقه،
ويفرح لفرحه ويحزن لحزنه، فقد اعتادا أن يتقاسما كل شيء معًا.
"علياء"، كانت صديقة عبد الرحمن ومحمد في الجامعة، هي فتاة عادية ليست بارعة الجمال ولكنها خطفت قلب محمد وعقله منذ أول مرة رآها بالجامعة، قضت خمس سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية وتطبّعت بالطابع الغربي.
تعرف محمد عليها، وبعد مدة من علاقتهما اتفقا أن يتقدم لخطبتها بعد التخرج، وكثيرًا ما تشاجر محمد معها بسبب ملابسها التي لا تليق بالمجتمع الشرقي، فشعرت أنه مثله مثل أي رجل شرقي وسيقيد حريتها، وهي لا تريد أن تبدل طباعها من أجل شخص، حتى لو أحبته!
بعد التخرج، تقدم شريك والدها في الولايات المتحدة لخطبتها، وشعرت أنه يشابه طباعها بالإضافة إلى ثروته، أما محمد فهو شاب لا يمتلك ثروة كهذا الرجل، كما أنه حاد الطباع ولا يليق بها، فسرعان ما وافقت عليه وتركت محمد يعاني آثار فقدانها بعدما أخبرته أن والدها هو الذي أجبرها لتوافق على تلك الزيجة.

* * *

- "اتفضل"، قالها إبراهيم مدير الشركة، حينما سمع طرقات خفيفة على الباب.

دخلت نهى بهدوء ورقة مصطنعة، أخذت تتمايل بجسدها وصوت حذائها يدب في أرجاء الغرفة لتجذب انتباه "سيف".

"سيف إبراهيم النجار"، هو الابن الوحيد لإبراهيم صاحب شركات النجار، سيف ذو البشرة السمراء والملامح الحادة، عندما تنظر لعينيه تشعر بقوته وهيبته.

نهى بصوت منخفض: وعد قالتلي إن حضرتك عاوزني يافندم .

إبراهيم باندهاش: لأ أنا قولتلها إنك تفهميها الشغل الجديد مش أكتر .

نهى بابتسامة مصطنعة: آه آه، يبقى أنا فهمت غلط.

- إبراهيم بجدية: حصل خير، اتفضلي على مكتبك وسيف هيتابع معاكم الشغل بكرة إن شاء الله.

رفعت عينيها ببطء ناحية سيف، الذي كان يعبث بهاتفه ولا ينظر لها من الأساس، فصُدمت عندما رأته هكذا، وخاب ظنها!

- "أنتِ ندلة أوي على فكرة وأنا مخاصماكي"، قالتها فريدة عندما اتصلت بها وعد .

وعد: عارفة والله، وعشان كده هعدي عليكِ بعد الشغل النهاردة وهصالحك .

فريدة بحزن: لأ مش هكلمك، شوفي بقالنا قد إيه ما اتكلمناش ولا شوفتك يا رخمة أنتِ.

- حصل حاجات كتير والله وغصب عني، لما أجيلك هحكيلك .

- خلاص وأنا هستناكِ ونتغدى سوا .

- اتفقنا.

* * *

بعدما أنهت وعد مكالمتها وجدت نهى تدفع الباب بقوة، وتغلقه بعنف خلفها، ثم جلست على مكتبها وهي تضم حاجبيها من كثرة الغضب .

وعد بقلق: مالك يا بنتي، إيه اللي حصل؟!

-.....

- ساكتة ليه بس، مستر إبراهيم ضايقك؟

- نهى وهي تصك على أسنانها بغضب: سبيني في حالي الساعة دي، أحسن أنا مش طايقة نفسي.

شعرت وعد أن نهى في حالة لا تسمح بالكلام، فتركتها حتى تهدأ، وشرعت في إنهاء عملها حتى جاء موعد المغادرة، هاتفت "فريدة" وأخبرتها أنها في الطريق إليها.

* * *

قضت وعد وفريدة اليوم معًا، ظلتا تثرثرا وتتبادلان الحديث في أشياء كثيرة، وأخبرتها فريدة أن حسام سوف يأتي خلال هذا الشهر .

وعد بفرحة: الله بجد! الحمد لله ربنا يجيبه بالسلامة يا قلبي ويكمل فرحتنا على خير .

فريدة: مش مصدقة يا وعد إن حبي ليه هيشوف النور وأصحى جنبه وأنام جنبه وأقضي باقي حياتي معاه .

احتضنتها وعد بفرحة، ثم استأذنتها لتغادر وأخبرتها أنهما ستتقابلان قريبا لاستكمال تجهيزات الشقة ومستلزمات فريدة كعروس.

مرّت ثلاثة أشهر على خطبة صفوة، وازداد حبها لعبد الرحمن، وأحبته والدتها كأنه ابنها وأكثر، حيث أثبت إنه يستحق ابنتها ولم يخيِّب ظنها.

أما وعد فبعد الخطوبة بشهر أو أكثر كانت تتصفح الفيس بوك فوجدت عبد الرحمن قد قام بتحميل إحدى صور الخطبة التي كانت تجمعهم هي وصفوة وعبد الرحمن ووالدتها وخالتها ومحمد.

ظلت تنظر لملامحه، وابتسامته طويلا، ثم اجتاحتها رغبة عارمة في البحث على حسابه الخاص على الفيس بوك، وعندما وجدته، لا تعلم لماذا قادها إحساسها للتجول داخل حسابه أكثر من نصف ساعة بل وإرسال طلب صداقة له أيضا.. ولكن هل سيكون طلب صداقة فقط!

أعتقد أن مارك كان يجب أن يضع أكثر من مسمى لطلب الصداقة، لأنه غالبا لا يقتصر على الصداقة فقط، فتلك النقرة على هذا الزر المعروف بطلب الصداقة، قد تكون نقرة في القلب أيضا وتؤدي بصاحبها إلى جحيم لا ينتهي، حتى لو قام بإلغاء هذا الطلب، فلن يستطع نسيان ما سببته آثار هذا الطلب بداخله!

في تلك الأثناء كانت وعد قد وصلت للتوّ إلى منزلها، بدلت ملابسها، ثم جلست مع والدتها لتحتسي قهوتها معها وتخبرها عما حدث في يومها، ثم ذهبت لتنام لتهيئ جسدها لما ينتظرها من عمل مرهق غدًا، كما أخبرتها نهى.

بعدما وافق محمد على طلب الصداقة الذي أرسلته وعد، أصبحا صديقين، صديقين إلى أن يثبت هذا أو يظهر العكس!

كانت شخصية هادئة إلى حد ما، لا تحب الثرثرة ولا تعتاد على الأشخاص بسهولة، لا تهتم لشأن أحد سوى أقرب الأقرباء لها، لا تحب أن تبدأ الحديث مع أي شخص مهما كان، وهذا ما فعلت عكسه تماما معه!!

كانت تبادر بالسؤال عنه، تنتظر حتى يعود من عمله لتطمئن عليه.. هكذا كانت علاقتهما سطحية تمامًا .

وذات ليلة، عاد محمد من العمل ولم يحادثها كعادته، ظل على هذه الحال أكثر من يوم، حتى أرسلت له: ازيك يا محمد، أنت كويس؟!

- الحمد لله، وأنتِ؟

- كويسة، بقالك كام يوم مبتسألش قلت أسأل عليك أنا .

- معلش يا وعد، تعبان شوية.

- تعبان! تعبان مالك ألف سلامة؟

- الله يسلمك، المهم أنتِ تكوني كويسة .

- محمد! هو أنا ضايقتك في حاجة .

- ليه بتقولي كده؟

- يعني.. بقالك كتير متغير وبتقصر في الكلام .

- لأ أبدا.. مضغوط في الشغل وكده .

- آه، طيب، ربنا معاك .

- ومعاكِ يارب، تصبحي على خير .

صُدمت وعد بسبب تلك اللهجة التي يتحدث بها، وتساءلت بداخلها، لمَ شعرت بالقلق عليه عندما غاب؟ ولمَ غضبت من قلة حديثه؟

هل لأنه ملأ الفراغ الذي كان بداخلها؟ أم لأنه مجرد شخص يهمها أمره لأنهم أصدقاء فقط، أم....؟!!!!

* * *

- "مالك؟ راجعة من الشغل متنكدة كده ليه؟"، قالتها والدة "نهى" .

نهى بضيق: بارد يا ماما، وأنا مبستحملش كده، ده كل ما بيشوفني بيبص في أي مكان غير اللي أنا فيه!

- يا بنتي اتقلي شوية، ده لسة يادوب عارفك من 3 أيام، اعملي بس اللي بقولك عليه، وإحنا هنجيب رجله لحد هنا .

- مش باين يا ماما ده صعب جدًا .

- ما هو بالذوق أو بالعافية لازم تتجوزيه، ده هو الولد الوحيد وهيورث العز ده كله .

- أووووف، أنا زهقت، المفروض أعمل إيه يعني؟!!

والدتها بابتسامة خبيثة: اعملي كل اللي بقولك عليه بالحرف، متفوتيش فرصة إلا لما تستغليها لصالحك، اتدلعي عليه، اهتمي بيه وحسسيه إنك مهتمة بالشغل مادام هو بتاع شغل أوي كده .

- نهى بنفاد صبر: ماشي، لما نشوف آخرتها .

- آخرتها هتبقى إن اللي هو فيه ده كله هيبقى بتاعك أنتِ.

* * *

داخل مقر الشركة

وصلت وعد في الميعاد الذي حدده سيف نائب مدير الشركة والابن الوحيد لإبراهيم النجار، كان مسافرًا منذ سنوات وها هو قد عاد وسيتابع العمل نيابة عن والده، كما أخبرتها نهى ليلة أمس.

دخلت وعد مكتبها فوجدت شهاب..

وعد بفرحة: إيه ده، أخيرا رجعت، أنت استحليت السفر والإجازة ولا إيه؟

شهاب بثقة: إيه الدخلة دي، قولي إن المكتب مكانش ليه لازمة من غيري، أيوه أيوه أنا عارف .

- إيه الغرور ده إن شاء الله يا سي شهاب !

- ده مش غرور يا دودو دي ثقة مش أكتر، المهم احكيلي قبل ما نهى هانم تيجي وتمسكلنا المراية ومحدش هيعرف ياخد منها حق ولا باطل .

ضحكت وعد لطريقته الفكاهية، فهذا ما يميز شهاب، إنه دائم الضحك ويستطيع بسهولة أن يحول حالتها من العبوس إلى الضحك المصحوب بالدموع، كما أنه أول شخص تعرفت عليه في العمل، وكانت في البداية لا تفقه طريقة العمل في الشركة ولكنه ساعدها كثيرا، وبعدها أصبح شهاب أكثر من أخ لها.

شهاب: بتضحكي على إيه يا وعد، آه والله دلوقتي تدخل تقول "ممكن بلاش رغي وصداع عاوزة أسمع الميوزيك وأنا بشرب النسكافيه في هدوء" .

ضحكت وعد أكثر على طريقته في تقليد نهى ثم قالت: طب يلا علشان الساعة بقت 9 ونهى قالتلي إن مستر سيف ده شديد جدا وبيحب الالتزام .

وبالفعل دخلوا قاعة الاجتماعات ووجدوا معظم الموظفين في الشركة بالداخل .

سيف بجدية: كده الساعة بقت 9 بالظبط، هبدأ الاجتماع ومش مسؤول عن أي حد اتأخر .

هنا دخلت نهى كعادتها برائحة عطرها التي ملأت كافة أرجاء القاعة ثم تعمدت أن تجلس في آخر مقعد حتى تلفت نظر سيف لها أكثر، فهي دائما تحب أن تكون آخر من يصل في أي مناسبة، حتى تلفت نظر كل الحضور إليها.

سيف بصرامة: أتمنى تكون آخر مرة تتأخري على الميعاد يا آنسة نهى.

نهى برقة: حاضر يا مستر سيف، أنا آسفة.

* * *

بدأ سيف الاجتماع بتقديم نفسه إليهم قائلًا: أنا سيف إبراهيم النجار، مهندس مدني، عندي 35 سنة وقضيت معظم وقتي في السفر والشغل،

بحب الشغل جدا وبقدره وبحترم الناس اللي بتقدر شغلها جدا، وأتمنى إننا نرتاح في طريقة الشغل مع بعض وأهم حاجة عندي الالتزام وبناء على رغبتي في إني عاوز معايا مجموعة من أكفأ الموظفين في الشركة، والدي رشحكم ليَّ.

انتهى الاجتماع بعدما تحدثوا جميعا في أهم الأمور الخاصة بالشركة، وأخبرهم سيف أنه سيجتمع بهم في نهاية الأسبوع ليخبرهم شيئًا سيعود بالنفع على الجميع، مما جعلهم ينتظرون هذا الاجتماع بشغف.

في بيت وعد....

قامت وعد بفتح المحادثة بينها وبين محمد وبدأت تقرأها، شعرت باشتياقها إليه، وإلى اهتمامه بها وخوفه عليها، كانت تشعر أن وجوده شيء لابد منه في حياتها، فأحيانا تشعر أنه يخاف عليها ويهتم بها كأبيها، وأحيانا تشعر أنه صديقها حينما يشكو إليها أمرًا ما، وحينما يهتم بشيء أزعجها ويحاول التخفيف عنها بشتى الطرق.

كانت على يقين بأن شعورها تجاهه مختلف، أرقى من أن يكون حبًا، وأكثر من أن يكون صداقة وأخوة.

انتابها شعور بالقلق عليه، فهي اعتادت أن يظهر فجأة ويختفي فجأة ولكن تلك المرة قد طال غيابه!

كانت كل ليلة قبل أن تنام تنظر إلى صورته وتدعو الله أن ييسر أموره ويعود إليها قريبًا، فقد شعرت بالأمان في وجوده، كانت تدخل إلى حسابه خلسة، تقرأ منشوراته وتعليقاته مع أصدقائه، كانت تبحث عن خيط ولو صغير يوضح لها شخصيته أكثر، كانت تلعن صديقاته اللاتي يعلقن على صوره بتعليقات غير ملائمة!!

بعدما قرأت المحادثة، أرادت أن ترسل إليه رسالة لتطمئن عليه، خاصة أنه لم يحادثها منذ خمسة أيام.

وعندما همت بكتابة الرسالة، شيء بداخلها جعلها تتراجع وبدأت المناقشة بين عقلها وقلبها....

عقلها: لا تبادرِ بالحديث حتى يبدأ هو.

قلبها: لا يهم من يبدأ، الأهم أن تطمئني عليه .

عقلها: لو كان يفكر بك لاهتم لأمرك .

قلبها: من الممكن أن يكون قد حدث له مكروه منعه من السؤال عنك، فماذا ستفعلين إذن، هيا أرسلي له رسالة الآن .

وكالعادة انتهت المناقشة بانتصار قلبها وقامت بإرسال رسالة إليه: "أنا قلقانة عليك، بقالك كتير مبتفتحش ليه؟، ياريت تبقى تطمني" .

ولكنه كان غير متصل بالإنترنت وقتها، فانتظرت لعله يراها، وكان القدر لصالحها تلك المرة، وبالفعل ظهرت العلامة الخضراء لتشير أنه "متصل الآن".

"متصل الآن"، تلك العبارة التي طالما جعلت قلوبًا تنبض فرحًا، لأن الشخص الذي تنتظره سيبدأ بالمحادثة معها.

وتلك العبارة أيضا جعلت قلوبًا تبكي قهرًا وحيرة، لأن الشخص التي تنتظره "متصل الآن" ولا يحادثها، فبالتأكيد أنه يحادث غيرها الآن.. كما أن "متصل الآن" قد تكون وسيلة للاطمئنان على الأشخاص الذين فارقناهم ولم يعد بوسعنا الحديث معهم مرة أخرى.

فتح محمد الرسالة ثم أرسل إليها: "وعد أنا عاوز أتكلم معاكِ، مش عارف ليه، بس أنا تعبان أوي بجد، ينفع أتصل بيكِ أو أجيلك القاهرة ونتقابل، مكنتش مرتب إني أقولك كده بس اللي حصل بقى، أنا مش عارف ليه محتاج أتكلم معاكِ أنتِ، أنتِ بالذات، ممكن يا وعد؟".

قرأت وعد تلك الرسالة عدة مرات بصدمة، هي لم تتوقع أن هذا الشخص تحديدا يتحدث هكذا، هي تعلم أن خطبًا ما دمر حياته ولكنها كلما سألته يراوغها ولا يجيب عليها، ولكن قد آن الأوان لتعرف كل شيء.

وبالفعل وجدت نفسها تكتب: "ممكن تهدى طيب، أنا معاك وهنحل كل حاجة سوا، يلا اتصل بيَّ" .

عندما قرأ ردها، اتصل بها بالفعل.

عندما وجدت اسمه على شاشة هاتفها، دق قلبها عدة دقات متتالية ولم تستطع الرد، فحدثت نفسها قائلة: "إيه اللي أنا فيه ده طيب؟!!، لأ أنا مبحبهوش، أنا أكيد قلبي بيدق كده علشان مكسوفة منه مش أكتر، ومش عارفة هو عاوز يحكيلي إيه" .

وبالفعل ردت عليه .

محمد: ازيك يا وعد، وحشتيني، قصدي إني بقالي كتير مبكلمكيش فوحشني الكلام معاكِ.

زادت دقات قلبها أكثر وتنهدت في خجل، ودت لو تقول له إنها تفتقده أكثر مما يتخيل، وأنه أصبح جزءًا لا يتجزأ من يومها ولكنها اكتفت بأن تقول: أنا الحمد لله، خير.. بتختفي ليه؟ وإيه اللي مضايقك؟

- بصي يا وعد.. أنا عارف إنك سألتيني كذا مرة بس أنا طبعي إني مبحبش أتكلم كتير، مبحبش أشتكي بمعنى أصح، أو أصعب على حد، أنا شوفت حاجات وحشة أوي كتير في حياتي هي اللي خلتني كده، علشان كده بحب أبقى طبيعي دايما علشان محدش يحس باللي فيَّ، مش عاوز أبقى ضعيف وأتسند على حد، اتعودت أظهر طول الوقت بصورة الراجل القوي اللي مبيهزوش حاجة، ولاقيت الدنيا تمام والكل مصدق.

- هتصدقني يا محمد لو قولتلك، إني من أول يوم شوفتك فيه وأنا متأكدة إنك مخبي حاجة تعباك، بس مكانش ليَّ الحق إني أسألك، وكنت مستنية الوقت المناسب اللي أعرف فيه .

- وأهو جه يا وعد وحسيت فجأة إني محتاج أتكلم، بصي.. أنا اتكسرت مرتين في حياتي، أول مرة لما عرفت إن بابا وماما سافروا وسابوني مع جدتي، وكانوا بيبعتولي مصاريفي وكل حاجة، بس أنا كنت محتاجلهم هما، محتاج أشوفهم وأنام في حضنهم، كنت كل يوم بالليل أفضل أعيط

وأقول لجدتي خليني أروحلهم، تقولي بكرة يرجعوا، رغم إنها واثقة إنهم مش هيرجعوا قريب، هي بس كانت بتصبرني.. والوجع الأكبر بقى لما عرفت إنهم ماتوا في الغربة قبل ما أشوفهم ويشوفوني، مش قادر أنسى دموع جدتي في اليوم ده لما عرفت الخبر، أنا كنت صغير وقتها، بس فضلت أعيط أنا وهي طول الليل وهي واخداني في حضنها، كأنها عاوزة تعوضني، بس مهما حصل حنية الأب والأم ووجودهم مفيش حاجة هتعوضه.

وتغيرت نبرة صوته إلى نبرة لم تسمعه يتحدث بها من قبل، وبدأت تبكي بشدة لأنه لمس جزءًا بداخلها يحن لأبيها، وخافت أن يموت هو الآخر قبل أن تراه.

- "وعد!!"، قالها "محمد" بصوت ضعيف .

حاولت أن تكتم شهقاتها وردت بهدوء:"نعم".

- ممكن متسبنيش يا وعد، أنا عندي مرض من القرب، بخاف أقرب من الناس علشان عارف إنهم هيبعدوا بعد كده، وأنا اللي هفضل أتعذب من فراقهم بعدين، أنا محتاجلك جنبي حتى لو قسيت عليكِ متمشيش، أنا عمري ما قابلت حد حاسس بيَّ في عز ما أنا بمثل إني كويس وتمام غيرك يا وعد!

لا تعلم لماذا تمنّت في تلك اللحظة، أن يكون أمامها وأن تضمه بقوة إلى صدرها وتربت على رأسه، لتُطمئنه أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنها لن تتركه مهما حدث، فهي الأخرى اعتادت على وجوده ولا تريد أن تفقده.

* * *

داخل المكتب الهندسي

عبد الرحمن: بقولك إيه يا محمد، عيد ميلاد صفوة قرب، وأنا عاوز أعملها مفاجأة، فكر معايا كده .

حكّ محمد رأسه كأنه يفكر ثم قال: ممكن تعملهولها على البحر، وخلي وعد تيجي علشان هي كمان بتحب البحر .

رفع عبد الرحمن حاجبه الأيسر وابتسم قائلًا: آاااه قولتلي، والبيه عرف منين إن وعد بتحب البحر؟

رد محمد بتلقائية: عادي هي قالتلي، أصل إحنا بقينا أصحاب وكده .

– رد عبد الرحمن وهو يغمز: أصحاب بس؟ طب وده من إمتى يعني؟

– هو إيه اللي من إمتى؟ أنت هتعملي تحقيق ولا إيه!!

ثم ترك المكتب وغادر دون أن يستكمل باقي الحديث، فهو دائما يخبر عبد الرحمن أنه لن يحب ثانيةً.

فكر عبد الرحمن أن يحادث وعد ويتفق معها على مفاجأة من أجل صفوة، فبعد أيام ستكمل عامها الخامس والعشرين، وهو يريد أن يقيم لها حفلًا ليسعدها، فهذا أول عيد ميلاد لها منذ خطبتهما.

وبالفعل اتفق معها أن تأتي لتساعده في اختيار الهدايا الخاصة بصفوة وأكد عليها ألا تخبرها بشيء فهو يريد أن يرى رد فعلها حينما ترى المفاجأة.

* * *

جاء يوم الخميس، يوم الاجتماع الذي اتفق عليه سيف مع الموظفين، دخلوا القاعة وبدأ الاجتماع ..

سيف بجدية: أنا سبق وقلت لحضراتكم إني هقولكم على خبر مفيد لينا كلنا .

أومأ الجميع برؤوسهم أي أن هذا حدث بالفعل، فاستأنف سيف حديثه: تمام، أنا عندي مشروع هبدأ فيه كمان أسبوعين، المشروع ده هكون محتاجلكم كلكم فيه، المكان اللي هنكون فيه هيبقى صعب

نتواصل مع أهلنا هنا لأن الشبكة هناك ضعيفة، بس الأكيد إن كلنا هنكون في أمان، وهيكون موجود معانا أكتر من دكتور علشان لا قدر الله لو حد جراله حاجة، كمان المشروع ده هينقلنا نقلة تانية خالص وهيزود خبراتكم، أتمنى محدش يخذلني وكلكم تكونوا معايا .

سمع سيف همهمات الحضور، فشعر بالارتباك قليلًا ثم أكمل حديثه: ممكن هدوء لو سمحتم، المشروع يا جماعة مدته شهر، ده غير إن في الشهر ده هتاخدوا مرتبكم مني هناك، ومرتبكم هنا كمان، هستنى ردودكم وبالتوفيق لينا جميعا .

انتهي الاجتماع وعادت وعد إلى بيتها وأخبرت والدتها عن هذا المشروع، والدتها بقلق: ما بلاش يا بنتي، خليكِ في المضمون أحسن.

وعد بابتسامتها المعتادة: بقى عندي 24 سنة ولسة بتقلقي عليَّ، سبيني أجرب يا ماما، أنا بحب شغلي ومستعدة للمشروع بإذن الله .

- طب وأنا هقعد شهر بحاله معرفش عنك حاجة، ازاي؟ مقدرش .

- يا حبيبتي مستر سيف أكدلنا إن إحنا هنبقى في أمان، كمان أنتِ هتقعدي عند خالتو الشهر ده علشان أكون متطمنة عليكِ .

وبعد محاولات عديدة، استطاعت وعد أن تقنع والدتها بسفرها، والذهاب إلى الإسكندرية .

* * *

داخل المشفى.....

اجتمع الدكتور/ عبد الحميد، مدير المشفي، بجميع الأطباء، على أن يختار ثلاثة منهم ليرافقوا سيف في مشروعه الخاص، وذلك بناء على طلب إبراهيم النجار صديق طفولته، ولأنه وعده بألا يخيب رجاءه، وأنه سوف يرسل له أفضل الأطباء لديه .

بدأ دكتور عبد الحميد الاجتماع قائلا: أنا حبيت أجمعكم النهاردة علشان موضوع غاية في الأهمية، أولًا أنا هحتاج معظمكم معايا هنا في المستشفى الفترة دي ...

وتحدث معهم في المستجدات التي حدثت مؤخرًا في المشفى، وسمح لهم بالمغادرة بعد أن انتهى الاجتماع، وعندما هموا بالمغادرة.. د/ عبد الحميد: وائل وسلمى وحنين استنوا عاوزكم .

وعندما جلسوا أكمل حديثه: أنا في واحد عزيز عليَّ أوي، عنده مشروع في مكان بعيد شوية فكلمني وطلب إني أبعتله أشطر دكاترة عندي،

وطبعا ملقتش أحسن منكم أرشحه للمهمة دي، الموضوع ده اعتبروه مأمورية مثلًا، ومدتها شهر، خدوا وقتكم وردوا عليَّ خلال أسبوع علشان نعمل الإجراءات.

هاتفت وعد صديقتها فريدة وأخبرتها أنها تود رؤيتها قبل الذهاب إلى الإسكندرية، وبالفعل اتفقتا على أن يتقابلا في المكان المفضل لديهما، وعندما وصلتا، فريدة بمرح: رجلك أخدت على إسكندرية يا هانم، خير يعني؟!

ابتسمت وعد لأنها لا تستطيع أن تخفي شيئا عن صديقتها ثم قالت: ما هو ده اللي كنت عاوزة أحكيلك عليه بس والله رايحة علشان عيد ميلاد صفوة زي ما قلتلك، بس في حاجة كده يعني كمان عاوزة أقولهالك .

ضيقت فريدة عينيها: أهلا أهلا، اتفضلي اتكلمي وبسرعة .

قصت عليها وعد ما حدث منذ أن رأت محمد حتى الآن .

فريدة بتفكير: بصي يا وعد هو غريب بصراحة، طيب أنتِ ليه مسألتيهوش إذا كان مرتبط أو في حد في حياته ولا لأ؟

وعد بحزن: تفتكري ممكن يكون في حد في حياته وبيعاملني كده، معرفش بصراحة متكلمناش في الموضوع ده قبل كده .

– ازاي؟!! لازم تبقي فاهمة دورك إيه في حياته ومكانتك إيه علشان ميحصلش اللغبطة اللي أنتِ فيها دي .

– أنا خايفة أسأله يا فريدة يكون بيحب حد فعلا، مش هقدر أبعد عنه، أنا حاسة إني بحبه .

فريدة بحدة: وعد! متهرجيش اوعي يا وعد، لازم تتأكدي الأول، أنا خايفة عليكِ والله، مش عاوزاكِ تتوجعي.

أومأت وعد رأسها بتفهم، فربتت فريدة على كتفها قائلة: عارفة يا فريدة، أنا يمكن مكنش بحبه ولا حاجة، أنا مش مراهقة أووي كده، أنا بس حاسة في وجوده بالأمان، حاسة إنه بيساعدني أبقى أحسن، وده مخليني بحكيله كل حاجة دايما، لما بتحصل مشكلة وأفضل أعيط وأتنطط زي العيال الصغيرة ومتتحلش، هو بييجي يحلها ويفكر معايا ببساطة، بحس إن المشاكل بتخاف منه وبتتحل بسرعة أول ما أحكيهاله.

ابتسمت فريدة وأكدت عليها أن تتأنى قبل أي قرار، وأخبرتها أن حسام سيصل خلال هذا الأسبوع وفرحها سيكون بعد عشرة أيام، احتضنتها وعد بشدة وقبّلتها، ثم غادرت بعد أن أخبرتها أنها ستقضي عند خالتها خمسة أيام، وتعود لتشاركها أيام ما قبل زفافها.

في بيت نهى....

- بس أنا خايفة يا ماما، مش مرتاحة للموضوع ده.

- اسمعي كلامي بس هتكسبي، يا بنتي الشهر ده فرصة تعرفي تعلقيه بيكِ، وتبقي قدامه 24 ساعة .

- بقولك عاوزنا عشان نشتغل، وفي مكان صحرا، تقوليلي أعرف أعلقه بيَّ ازاي، ده بيحب الشغل قد عنيه!!

- أنتِ وشطارتك بقى، اثبتيله إن الشغل عندك رقم واحد، وأهم من أي حاجة تانية .

نهى بتأفف: بس دي مش حقيقة، أنا بحب الراحة يا ماما .

والدتها بنفاد صبر: افهمي بقى يا غبية أنتِ، ما هو لما يتجوزك، هيقعدك في البيت وتبقي مرتاحة .

وأخيرًا انتهى الحديث ببعض النصائح والحيل الخبيثة من والدتها، للإيقاع بسيف.

أعدت وعد حقيبتها هي ووالدتها، استعدادا للذهاب إلى الإسكندرية صباحًا، وكذلك أقنعت والدتها بأن تظل عند خالتها لحين عودتها من

السفر، وطمأنتها بأنها ستبقى مع فريدة في بيتها حتى يوم زفافها، وبعدها ستسافر.

جاء صباح اليوم التالي وتأكدت والدتها أن كل شيء في البيت على ما يرام، ثم أغلقت الباب وغادرتا المنزل متجهتين إلى محطة القطار.

* * *

كانت فريدة تجلس في حجرتها وتنظر إلى صورة حسام باشتياق، فهي تحسب الأيام والساعات والدقائق المتبقية حتى يعود.

سمعت فريدة صوت جرس الباب، فظنت أن وعد جاءت لتودعها قبل سفرها، ففتحت الباب وصُعقت من هول المفاجأة!

* * *

في القطار

بينما وعد تتحدث مع والدتها إذا بهاتفها يرن، فنظرت لتجد أن المتصل محمد، تعجبت لاتصاله في هذا الوقت، فلم يحدث من قبل أن يهاتفها مبكرًا هكذا، فما الخطب إذن؟!!!!

اندهشت والدتها لعدم ردها، ثم قالت: مبترديش ليه يا بنتي، في حاجة؟!

-.....

- وعد؟ ساكتة ليه مين اللي كان بيتصل؟

- ارتبكت وعد قليلا قبل أن تجيبها: ده محمد يا ماما، وأكيد عبد الرحمن اللي قاله إننا جايين، وعاوز ييجي يوصلنا، بس مش هيحصل، مش كل مرة .

- ابتسمت والدتها ولم ترد .

- ممكن أعرف بتضحكي على إيه يا ست ماما؟ !

- بضحك على الباشمهندس محمد، أصله بيهتم بيكِ.. قصدي بينا أووي .

- نظرت لها وعد وكانت على وشك أن توضح لها سوء الفهم ولكن رن الهاتف مرة أخرى.

فابتسمت والدتها وأردفت قائلة: ردي يا حبيبتي مينفعش كده.

فاستسلمت وعد وردت: آلو، ازيك يا محمد؟

- صباح الخير يا هانم، بقى جاية إسكندرية ومتقوليش.

- عادي، كنت هقولك لما أوصل .

- يا سلام، طيب قدامكم قد إيه وتوصلوا؟

- يعني نص ساعة كده .

- تمام، يلا باي يادوب ألحق أجهز، هتلاقوني مستنيكم عند المحطة، يلا باي .

كانت وعد ستعترض لولا أنه أغلق الهاتف حتى لا يعطي لها فرصة للرفض.

فنظرت وعد إلى هاتفها ثم ابتسمت بشدة، مما جعل والدتها تنتبه وتبتسم هي الأخرى، لأن الحب زار قلب ابنتها أخيرًا.

أما وعد فظلت تفكر وتتخيل، ماذا ستفعل حينما تراه أمامها

فقبل ذلك كان شخصًا عاديًا بالنسبة لها، لكن الآن اختلف الأمر فهو أصبح أقرب شخصًا لها.

راودها الشعور بالقلق حينما تذكرت ما يحدث لها، حينما تحادثه أو تسمع صوته، فماذا سيحدث إذا رأته أمامها وجها لوجه، ستفقد توازنها، حتما ستفقد توازنها.

عندما فتحت فريدة الباب، وجدت حسام، حسام الذي كان يحادثها منذ نصف ساعة، ويخبرها أنه سيأتي غد أو بعد غد، هل أتي الغد سريعا هكذا!

وضعت يدها على فمها بعدم تصديق، ثم ظلت تفرك عينيها بقوة وتبكي من شدة فرحتها، ضحك حسام بقوة، ثم فتح ذراعيه، وأشار لها برأسه أن تأتي، فهاهو أمامها بالفعل .

هرولت فريدة إليه واحتضنها بقوة وظلت تبكي، تبكي غيابه وفقدانه، تبكي كل ليلة قضتها دونه وظل هو يربت على رأسها بحنان بالغ لعلها تهدأ، ولكن دون جدوى.

فاضطر إلى أن يحملها ثم أغلق الباب، وهوى بها إلى أقرب مقعد.

مرت ساعة وهما على هذا الوضع، لم تتوقف هي عن البكاء، ولم يتوقف هو عن ضمها إلى صدره أكثر والربت على رأسها، وتقبيل جبينها .

ثمة مشاعر، لا يستطيع الكلام أن يعبر عنها، بل يوجد بدائل أخرى لوصفها، كالدموع والنظرات ولغة اللمس وغيرها، لكن الكلمات، فلنتركها للمشاعر العابرة.

* * *

وصل القطار إلى الإسكندرية، واستعد المسافرون للخروج منه، عندما خرجت وعد من القطار، ظلت تبحث بين الوجوه عن ملامحه، وعندما

لمحته شعرت بنفحة هواء باردة تداعب وجهها وأطرافها، فلا تعلم إذا كان هذا دليل على بداية شتاء الإسكندرية، أم أنها دليل على الحب !

عندما رآها محمد أشار لها ألا تتحرك، ثم هاتفها فاحمرت وجنتاها وخافت أن ترد فينكشف أمرها وترتبك أمامه، وشعر هو الآخر بترددها فابتسم وتعمد إغاظتها فأرسل إليها: "خليكِ مكانك علشان الزحمة، وأنا هجيلك آخد الشنط، وآه صحيح.. مكنتش أعرف إن اسمي بيلغبط أوي كده وبيخلي الخدود تحمر".

قرأت الرسالة وازداد خجلها، وبردت أطرافها أكثر ولم ترد عليه بل اكتفت بأن توليه ظهرها، حتى لا يرى رد فعل رسالته عليها.

* * *

داخل سيارة محمد.....

والدة وعد بامتنان: متشكرين أوي يا باشمهندس، كل مرة نتعبك معانا كده .

محمد بجدية: إيه اللي حضرتك بتقوليه ده بس، حضرتك زي والدتي، والآنسة وعد زي أختي .

ثم نظر في المرآة ليرى وقع الكلمة عليها، فوجدها تنظر إليه بغيظ، فابتسم وأكمل الطريق.

داخل المشفى.....

حنين بعدم اقتناع: أنا مش شايفة إننا هنستفاد من موضوع السفر ده إلا الشحططة بصراحة .

وائل: بالعكس، إحنا هنعتبرها فترة إجازة، وتغيير بدل البنج اللي بقى ملازمنا دا .

أيدت سلمى هي الأخرى رأي وائل وأقنعوا حنين بفكرة السفر بعد رفض طويل منها دون سبب مقنع.

يبدو أن حدسها أخبرها أنها ستتلقى صفعة في تلك الرحلة، ولذلك هي ترفضها بشدة دون سبب، وعلى أي حال حدس المرأة يصدق في معظم الأوقات، وخاصة المرأة العاشقة.

* * *

في بيت صفوة.....

فتحت صفوة الباب لتجد وعد وخالتها ومحمد .

صفوة بفرحة: إيه المفاجأة الجميلة دي حمدًا لله على سلامتكم، مقولتيش إنك جاية ليه علشان أستناكم .

- ماهو مكانش ينفع أقولك، أمال تبقى مفاجأة ازاي.

وهنا تحدث محمد: يا جماعة في واحد هنا شايل الشنط، دخلوني وبعدين ابقوا سلموا على بعض براحتكم .

نظرت وعد خلفها، لتجده يقف على مسافة قريبة منها، فنظرت لعينيه فابتسم بثقة، لتزداد خجلًا .

وعد بصوت متقطع: آسفين يا محمد، هات الشنط وأنا هدخلها وعندما مدّت يدها لتأخذها منه، أمسك يدها وضغط عليها وأزاحها بعيدًا، ودخل البيت، فارتجفت أثر لمسته ولم تتحدث.

دخل محمد ليجد عبد الرحمن يجلس مع والدة صفوة في غرفة الاستقبال، ويتفق معها على المفاجأة التي سيعدها لصفوة.

فرحت سمية، وحمدت الله بداخلها، أنه رزق ابنتها برجل يفكر دائما كيف يسعدها، ويعوضها عن غياب الأب والأخ.

داخل غرفة صفوة.....

تجلس وعد على الفراش ولا تشارك صفوة ووالدتها في الحديث، فمنذ أن لمس يديها وهي لا تشعر بأي شيء، سوى أنها في عالم آخر فقد ظلت رائحته عالقة بيدها.

انتبهت صفوة لحالتها وقالت: مالك يا وعد؟ ساكتة كده ليه؟ وبعدين تعالي هنا، هو محمد عرف منين إنكم جايين؟ ولا دي صدفة برضو؟!

حينها استأذنت فاطمة منهما قائلة: طيب أنا هخرج أقعد معاهم بره بقى يا بنات، وأسيبكم تلاقيكم واحشين بعض وعاوزين ترغوا .

أما وعد انتظرت حتى غادرت والدتها ثم: صفوة! أنتِ بتستهبلي عمالة تغمزي وتتكلمي قدام ماما، هي هتفهم إيه بقى دلوقتي يعني!

- أنتِ فاكراها مش واخدة بالها يعني، وبعدين أنا مستغربة محمد بصراحة، هو أنتِ متأكدة إنكم أصحاب بس؟!!

وعد بغضب: قصدك إيه يا صفوة! قلتلك بنتكلم عادي زي ما حكيتلك قبل كده، والمرة دي بجد والله مكنتش أعرف إنه هيجيلنا عند المحطة.

صفوة باندهاش: غريبة دي، طب وهو عرف منين أصلا إنكم جايين إسكندرية وفي الميعاد ده تحديدًا؟!

وعد بتلقائية: هو مفيش غير عبد الرحمن، أكيد هو اللي قاله.

- نعم!! هو عبد الرحمن كمان كان عارف !

أدركت وعد أنها على وشك كشف المفاجأة أمامها، فسرعان ما غيرت مجرى الحديث قائلة: معرفش يا ستي، بقول يمكن، المهم مسألتيش عن سر الزيارة المفاجئة دي!

صفوة بثقة: أكيد وحشتك، معروفة يعني .

- إيه الثقة دي، بس أحب أصدمك وأقولك إن ده مش السبب، ثم قصت عليها فكرة المشروع والسفر، وأنها اقترحت على والدتها أن تظل معهم حتى تطمئن عليها أكثر.

صفوة بقلق: خالتو هتنورنا والله، بس أنتِ متطمنة للسفر ده يا وعد، وإنك هتقعدي كل ده منعرفش عنك حاجة؟

حاولت وعد طمأنتها، وأخبرتها أنها تحب المغامرة وتجربة كل جديد في مجال عملها، وافقتها صفوة وأكدت عليها أن تعتني جيدا بنفسها، وتحاول من وقت لآخر التواصل معهم.

* * *

أثناء تناولهم للغداء معا....

عبد الرحمن: إيه رأيك يا وعد نخرج النهاردة سوا، أنا وأنتِ وصفوة ومحمد؟

ثم نظر لمحمد ورفع حاجبه الأيسر: أنت هتخرج معانا عشان تسوقلنا بس، مش أكتر يعني .

فضحكوا جميعا واتفقوا على الخروج معًا الليلة.

اتفق عبد الرحمن مع وعد أن يذهبوا إلى الأماكن التي تحب صفوة أن تقتني منها جميع أشيائها، وعندما يعجبها شيء، تخبره كي يشتريه من أجلها، ولكن بحرص حتى لا تنتبه صفوة لذلك.

* * *

قامت وعد بتنفيذ كل ما طلبه عبد الرحمن منها، فكانت كلما دخلوا أحد المحلات وأُعجبت صفوة بشيء، غمزت لعبد الرحمن وأشارت له بهدوء عليها.

طلب محمد من عبد الرحمن، أن يأخذ وعد ويجلس معها وحدهما، شك عبد الرحمن في أمره قائلا: لأ واضح إنكم أصحاب بس، تصدق أقنعتني .

تركه محمد وغادر، ولم يرد عليه وبالفعل ذهب إلى المكان الذي تنتظره فيه وعد، كما اتفقا على الهاتف.

أما عبد الرحمن طلب من كل بائع اشترى منه هدية لصفوة، أن يغلفها بشكل جيد، وأخبرهم أنه سيأتي غدا ليأخذها.

* * *

- "مقولتليش يعني إنك هتسافري شهر تبع الشغل"، قالها محمد لـوعد وهو يجلس في المقعد المقابل لها .

تعجبت وعد من طريقته، وتعجبت أكثر لأنه علم بشيء لم تخبره به، فمن أخبره إذن؟!!

- وأنت عرفت منين؟!

وضع محمد ساقًا فوق الأخرى ورفع حاجبيه بثقة قائلًا: هو أنا أي حد ولا إيه! أنا عارف عنك كل حاجة، وكل حاجة بتعمليها بتوصلي .

- والله! طيب كويس، بس أنا أحب أعرف مين اللي قالك، أكيد ماما صح؟

- لأ، العصفورة اللي ببعتهالك كل يوم، بتجبلي أخبارك دايما

نظرت له بغضب وقالت: هنهزر بقى ولا إيه، ممكن نمشي يلا؟

- اقعدي بس خلاص، المهم قوليلي المكان اللي هتسافري فيه ده فين؟

- معرفش، ابقى خلي العصفورة بتاعتك تقولك بقى .

ثم أخرجت لسانها لتجعله يغتاظ، كما فعل معها منذ قليل.
ضحك محمد على رد فعلها الطفولي ثم قال: أنا هسميكِ عصفورتي .
ضحكت بشدة قائلة: اشمعنا الاسم ده، عاوز تخليني أقولك أخباري بدل العصفورة اللي بتبعتهالي، ومبتعرفش تجيبلك أخبار كاملة دي؟
– بتتريقي على عصفورتي، أنتِ مش عارفة هي بتتعب قد إيه، علشان تجبلي الأخبار يا وعد .
– اممممم يبقى قصدك إن أنا رغاية زي العصافير، علشان كده اخترت الاسم ده، صح؟
ابتسم ابتسامة رجولية أذابت قلبها، ثم قال بصوت هامس: العصافير مش رغاية أبدا، ده كفاية صوتها الجميل كل يوم الصبح.. أنا سميتك عصفورتي علشان أنا بحب العصافير وبشوفها أرق وأجمل مخلوق في الكون .
احمرت وجنتاها خجلا وصمتت، فها هو يشبهها بأكثر مخلوق يحبه، فهل هذه إشارة منه أنه يحبها، أم ماذا؟!
ابتسم عندما رأى أثر كلماته عليها، فهو دائما يتعمد أن يقول مثل هذه الكلمات، فقط ليرى احمرار وجنتيها، وتلك الابتسامة الخجولة التي تذيب قلبه.

حاولت وعد قطع الصمت، فرفعت أحد حاجبيها قائلة: آاه، أنت بقى قولتلي إنك بتحب كل العصافير اللي في الدنيا، مش واحدة معينة يعني!!

فهم ما ترمي إليه فابتسم قائلًا: لا يا وعد، هي عصفورة واحدة بس، ثم غمز لها ليربكها أكثر.

وقد حقق ما أراده بالفعل، فقد زاد خجلها ونهضت وأخذت حقيبتها .

وعد بصوت مرتبك قليلًا: ينفع نقوم نمشي علشان متتأخرش عليهم أكتر من كده؟

نهض هو الآخر من على مقعده بعدما غمز لها قائلًا: ينفع يا...، يا عصفورتي.

* * *

ها هو يشبهها بأكثر مخلوق يحبه، فهل يحبها حقا؟!

هل يراها الأجمل رغم بعدها عنه معظم الوقت ووجود مئات الجميلات بجانبه؟

أم شبهها بالعصفورة إشارة منه أن قلبه كالقفص وستظل هي حبيسته دائما؟!!

لا تعلم ولكن كل ما تعلمه، أنه غامض، غامض حتى في تشبيهاته.

جاء يوم عيد ميلاد صفوة ..

وعد: إيه رأيكم نخرج كلنا النهاردة بالليل، علشان ألحق أشبع منكم قبل ما أسافر .

خالتها بفرحة: طبعا موافقين يا وعد، وخصوصا إننا بقالنا كتير متجمعناش سوا.

واتفقوا جميعا على الخروج الليلة، وأكدت وعد على صفوة أن ترتدي أفضل ما لديها.

ارتدت وعد فستانًا باللون النبيذي، وبه ورود صغيرة باللون البيج، وارتدت حجابًا بلون الورود، وأتمت أناقتها بحقيبة وحذاء من نفس لون الورود والحجاب .

أما صفوة ارتدت فستانًا باللون البنفسج وحذاء أبيض، وحجاب يجمع اللونين معًا.

* * *

أخبرهم عبد الرحمن أنه من الأفضل أن ينتظرهم في المكان الذي حدده، حتى لا تشعر صفوة بشيء، وأرسل إليهم سيارة، وأخبر سائقها عن المكان .

وصلوا جميعا إلى المكان، وكان على شاطئ البحر كما اقترح محمد قبل ذلك.

كان المكان رائعًا أكثر مما تخيلوا، فقد كان مزينًا بالورود من جميع الاتجاهات، وقد قسمه عبد الرحمن إلى جزئين :

الجزء الأول: به منضدة طويلة، عليها أطباق وكل طبق به قطعة كبيرة من الكيك مطبوع عليها صورة صفوة ورقم 25

الجزء الثاني: به 25 صندوقًا في غاية الجمال.

عندما رأت صفوة هذا المشهد، وضعت يديها على فمها، بغير تصديق، ولم تكن وعد ووالدتها وخالتها أقل انبهارًا منها، فالجميع صُعق من هول المفاجأة، وعندما رآها عبد الرحمن فرح لرد فعلها، فهو فعل كل هذا، فقط لأجل تلك الابتسامة المصحوبة بدموع الفرحة.

بعدما احتفلوا جميعا، قام عبد الرحمن باصطحاب صفوة إلى الجزء الثاني من المكان .

عبد الرحمن بحب: كل سنة وأنتِ معايا يا حبيبتي، وعيد ميلادك الجاي نبقى في بيتنا بقى، ثم غمز إليها .

توردت وجنتاها ثم أردفت قائلة: أنا مكنتش متخيلة إنك هتعمل كل ده، بجد ربنا يخليك ليَّ وميحرمنيش منك أبدًا.

- أعمل كل ده وأكتر كمان علشان أشوف الفرحة اللي شايفها في عنيكِ دي، بصي بقى الـ25 بوكس دول فيهم 25 هدية يعني البوكس الأول مثلا ده هديتك لما كان عندك سنة هتلاقي فيه عروسة كيوت كده، وكل بوكس هتلاقي فيه هدية مناسبة للسنة بتاعته .

نظرت له، وشعرت أن قلبها سيقفز خارج جسدها من كثرة النبض، ثم قالت وعيناها مليئة بالدموع: أنا بحبك أوي يا عبد الرحمن، بحبك وكل يوم بحمد ربنا على وجودك في حياتي .

عبد الرحمن بمرح: طبعا يا بنتي لازم تحبيني، يعني أبقى تاعب نفسي كل ده وما أتحبش، ده أنا أوديكم في داهية .

ضحكت على كلامه، فأردف قائلًا: آه صحيح، متفتحيش الهدايا دي إلا في البيت، أحسن تتفاجئي أكتر ومتحسيش بنفسك وتحضنيني بقى، والناس موجودة وكده ميصحش، وأنا بصراحة ما هصدق .

ضحكت أكثر ولكمته بقوة في كتفه، فأمسك يدها وضغط عليها بقوة، وهو ينظر إلى عينيها قائلًا: طول ما ربنا مديني عمر، هفضل أعوضك عن كل اللي شوفناه قبل كده، وأنا قد كلمتي.

أعدت وعد حقيبتها وانتظرت حتى يأتي محمد ليوصلها إلى القاهرة كما أخبرها أمس.

* * *

داخل سيارة محمد....

كانت تشعر أنها تمتلك العالم بأسره وهي بجانبه، كانت تنظر له بطرف عينيها من حين لآخر وهو منشغل بالقيادة، تمنت لو تخبره أنها ولأول مرة تستشعر معنى كلمة "أمان"، أما محمد كان يراوده شعور غريب تجاهها، يشعر وكأنه خُلق ليحميها، وكأنه مسؤول عنها، لا يعلم لماذا أصبح يخاف عليها هكذا! ويفرح عندما يراها أو يتحدث معها، هو أقسم قبل ذلك ألا يحب مرة أخرى، ولا يتعلق بأي شخص مهما كان، ولكن للقدر رأي مختلف .

حاولت وعد قطع الصمت قائلة: أنا آسفة يا محمد، دايما تعباك كده، بس أنت اللي حلفت امبارح إنك توصلني.

نظر إليها وابتسم ثم قال: أولًا: متتأسفيش، ثانيا بقى: أنتِ كنتِ عاواني أسيبك تروحي القاهرة لوحدك يعني!!، ثالثا: ياريت التعب كله يكون من النوع ده يا عصفورتي .

ابتسمت في خجل، وازدادت نبضات قلبها، ثم نظرت من نافذة السيارة، لتخفي وجهها الذي ارتفعت حرارته من كثرة الخجل، وفي تلك اللحظة تحديدًا، تأكدت أنها تحبه.

مرت نصف ساعة وهما في حالة صمت تماما، هي تنظر من النافذة، وهو ينظر لها من حين لآخر ويبتسم.

محمد: إيه رأيك يا وعد ننزل نشرب حاجة سوا في أي مكان؟

أومأت برأسها موافقة .

- تمام، يلا ندخل الكافيه ده .

أشار محمد إلى النادل ثم سألها: تشربي إيه؟

- قهوة، أنا بحب القهوة .

- طب مش جعانة؟

هزت رأسها بالنفي .

طلب محمد فنجانين من القهوة، وعندما جاء النادل ووضع القهوة أمامهما وغادر، تحدثت وعد وهي ترتشف قهوتها: محمد عاوزة أسألك سؤال، هو أنت حبيت قبل كده، أو مرتبطتش يعني؟

وضع كوب القهوة أمامه وتغيرت ملامحه قائلًا: ليه بتسألي السؤال ده؟!

عقدت حاجبيها بدهشة: آسفة، مكنتش أعرف إنه هيضايقك .

- لأ متتأسفيش، أنا فعلًا حبيت للأسف، وحبيت قوي كمان.

صُدمت من طريقته، وكانت على وشك تغيير الحديث ولكنه استكمل حديثه، وملامحه مازالت باردة: من 5 سنين ارتبطت ببنت معايا في الجامعة، حبينا بعض جدا، واتفقنا إني أول ما أتخرج هتقدملها، بس هي كانت بنت راجل غني جدا وطول عمرهم عايشين في أمريكا، وبمجرد ما اتخرجنا، باباها أجبرها إنها تتخطب لشريكه علشان هو غني وفي نفس مستواهم يعني، لكن أنا كنت لسة يادوب متخرج وبصرف على نفسي بالعافية.

وعد بنبرة حزينة: أنت.. لسة بتحبها؟!

- مش عارف.

كلمتان وقعتا على قلبها كالثلج حينما يلمس شيئًا شديد السخونة، حقا؟ لا يعرف هل مازال يحبها أم لا؟

سمعت صوتا داخلها يتساءل: إن كان أحبها حقا ومازال، فلماذا يتعامل معي هكذا؟

وإن كان قد أحبها وانتهى الأمر، لماذا تغيرت ملامحه حينما تذكرها؟!

ثم سألته: وهي محاولتش تعمل حاجة علشان تحافظ على حبكم ده؟

محمد بجدية تراه يتحدث بها لأول مرة: معرفش يا وعد، أكيد أبوها أجبرها وهي معرفتش تتصرف، ثم أردف قائلًا وهو ينهض من على مقعده: يلا يا وعد يادوب نلحق نوصل قبل الزحمة.

سحبت حقيبتها وهاتفها، ونهضت بهدوء، ثم ركبا السيارة وغادرا .

داخل السيارة، تعمدت الصمت، فبسؤالها هذا فتحت أبواب جحيم لا تهدأ داخله، وداخلها أيضا.

فقد شعرت بالغيرة الشديدة عليه، غارت من ماضٍ لم تكن معه فيه، غارت لأنه أحب بهذه الطريقة، التي جعلته يتحول إلى شخص آخر، وهو يتحدث عن حبيبته السابقة.

تساءلت بداخلها، لماذا شعرت بتلك المشاعر أثناء حديثه، ولمَ غضبت؟ فحتى إن كان مازال يحب حبيبته السابقة، فهو لم يصرح لها بأي مشاعر تجاهها؟!

كانت تقلب نظرها بين نافذة السيارة وبينه، لأول مرة تراه عابس الوجه هكذا، الآن فقط أدركت السبب الذي جعله يكره الزواج والحب.

إذن ماذا عنها؟ لمَ يعاملها بتلك الطريقة؟ لمَ يقربها منه وهو ينوي الهجر والابتعاد، هو على يقين تام أن أفعاله تلك ستجعلها تحبه، فهل حقًا أحبها، أم ماذا؟

أما محمد، كان يدور برأسه أفكار عديدة، تعجب من سؤالها، وتعجب أكثر من رد فعلها حينما علمت، كانت حزينة ولولا أنهما كانا في مكان عام لبكت، هو رأى لمعة عينيها ولكنها أخفتها ببراعة، كان يشعر أنها تريد أن تضمه لتواسيه، رأى في عينيها حنانًا لم يره من قبل، شعر أن القدر يعوضه بها.

فهي دائما تجبره ألا يبتعد عنها بتلقائيتها، فعندما يفتقد أمه يراها فيها بحنانها ونصائحها وخوفها عليه إذا أصابه أي شيء، وإذا افتقد حبيبته، يراها فيها وإذا حزن لأنه لم يكن له أخت تظهر له هي بمرحها وطفولتها لتثبت له أن كل ما يبحث عنه يوجد بداخلها.

عندما وصلا إلى القاهرة أوقف محمد السيارة أمام بيت فريدة، ثم وضع رأسه على مقود السيارة ولم يتحدث .

اضطربت وعد خوفًا أن يكون أصابه مكروه، فسرعان ما وضعت يدها على رأسه وهزتها برقة.

أحس برعشة تدب في أطرافه حينما لمسته ثم..

وعد بقلق: محمد، أنت كويس؟

– آه يا وعد تمام، أنا تمام، حمدًا لله على السلامة .

- الله يسلمك، تعالى اشرب حاجة فوق وارتاح من الطريق .

- لا لا مش هينفع اطلعي أنتِ وخلي بالك من نفسك، وابقي طمنيني عليكِ قبل ما تسافري .

- أنا آسفة يا محمد، بجد مكنتش قصدي أفكرك بحاجة تضايقك .

- متتأسفيش، وعلى فكرة أنا مضايقتش منك والله .

- أنا سألتك علشان كنت عاوزة أطمن، قصدي...، معرفش، بص خلاص سألتك وخلاص .

محمد باهتمام: تطمني؟! تطمني على إيه؟

شعرت أنها على وشك الاعتراف بحبه، فصمتت ومدت يدها لتفتح باب السيارة، وضع يده على يديها ليمنعها من الخروج قائلًا: مش هتنزلي يا وعد، قبل ماتقوليلي كنتِ عاوزة تطمني على إيه؟

ازدادت نبضات قلبها وبردت أطرافها قبل أن تقول: كنت عاوزة أطمن إني مفيش حد في قلبك، علشان بحبك، بحبك يا محمد.

وخرجت من السيارة مسرعة بعد أن هربت دمعة من عينها.

كور يديه وظل يضرب بها جبهته عدة مرات في غضب، وحدث نفسه قائلًا: اللي كنت خايف منه حصل، أنا ليه بيحصل معايا كده، حبت فيَّ إيه دي، هي أجمل من إن واحد زيي يجرحها بجد.

في بيت فريدة.....

طرقت وعد عدة طرقات على الباب، وعندما فتحت لها فريدة، ألقت بنفسها على صدرها وظلت تبكي .

قلقت فريدة وظلت تلح عليها أن تخبرها ماذا حدث، ولكنها تبكي ولا تتفوه بأي كلمة.

بعد مدة غير قصيرة من البكاء هدأت وعد، ثم قصت على فريدة ما حدث، فريدة بلوم: مكانش ينفع يا وعد، كلامك بيقول إنها لسة في باله، أنا مش بضايقك بس أنا خايفه عليكِ .

- عارفة، بس أعمل إيه، أنا أول مرة أحس المشاعر دي ناحية حد، شوفت في عنيه إنه محتاجلي والله يا فريدة .

أشفقت عليها صديقتها لأنها تعلم أنها المرة الأولى التي ينبض قلبها عشقًا لأحدهم هكذا .

فاحتضنتها بقوة قائلة: أنا عارفة إنك بتحبيه يا وعد، بس الفكرة إن محمد ده بالذات مينفعش تحبيه، هتتعذبي في الحب ده جدا، وهو مش هيبقى حاسس بيكِ لأنه مش هيبادلك المشاعر وهيخذلك من غير ما يقصد.

مرت 5 أيام على هذا الحدث، لم تحاول وعد الاتصال به، وأغلقت كل مواقع التواصل الاجتماعي حتى لا تبدأ الحديث معه، وهو أيضا لم يحاول الاتصال بها.

كان يفكر في حل يصلح به ما أفسده.

أما وعد فانشغلت مع فريدة في تجهيز شقتها، استعدادا لزفافها، كما أنها وجدتها فرصة مناسبة للهروب من التفكير فيما حدث، ولكن دون جدوى!!

* * *

في بيت محمد.....

مالك يا بني مش مركز معايا ليه؟

قالها عبد الرحمن عندما ظل يتحدث أكثر من عشر دقائق، ولم يجد إجابة منه .

محمد بلامبالاة: عادي مطبق بس وعاوز أنام، نبقى نتكلم بعدين .

عبد الرحمن بعدم تصديق: محمد.. أنت كويس؟ مطبق دي تضحك بيها على حد غيري، مالك يا محمد؟

– صدقني مفيش، هنام وهبقى كويس، ونتقابل بالليل .

- ماشي، بس لما تحب تتكلم، أنا موجود .

أومأ محمد رأسه بامتنان، وودع صديقه .

حاول محمد النوم ولكن دون جدوى فقرر أن يتصل بوعد.

* * *

كانت تمسك بهاتفها، وتقلب في صوره فوجدت صورة لها هي وهو التقطاها بعيد ميلاد صفوة، نظرت لملامحه باشتياق، كانت ابتسامته جذابة وزادتها جاذبية تلك الغمازة التي تعشقها، وبينما هي تُمني نفسها بسماع صوته، إذا بهاتفها يرن باسمه!

فزعت وعد عندما رأت اسمه، وألقت بهاتفها على الفراش، وظلت تتحرك في الغرفة ذهابًا ومجيئًا حتى انتهى الصوت.

لكنه عاد ليرن مرة أخرى فلم تجد مفرًا منه فردت:

-.....

-.....

- وعد!! عاملة إيه؟

- الحمد لله.

-.....

- هنفضل ساكتين كده!!

-.....

- بصي يا وعد، أنا مكلمتكيش طول المدة اللي فاتت دي علشان كنت بحاول ألاقي حل للي بينا مش أكتر، كنت بحاول أفكر في حاجة تخليني أصلح اللي كسرته من غير ما أقصد، ثم أكمل حديثه بنبرة هادئة لا تعبر عن حالته إطلاقا: أنتِ وجودك مهم أوي في حياتي، وأنتِ غالية عندي جدا، بس أنا هبقى أناني لو وافقت إنك تبقي في حياتي وبتتعذبي كده، ووجودي بيتعبك، وأنا واقف مش عارف أعمل حاجة، ثم صمت قبل أن يُلقي الصدمة في وجهها: إحنا لازم نبعد عن بعض يا وعد، نبعد علشانك أنتِ، عشان تبقي مرتاحة، البعد وحش في أي وقت ولأي سبب بس في حالتنا دي البعد ليكِ هيخليكِ تنسيني، ويمكن تبقى آخر ذكرى كويسة بينا، أحسن ما نكمل وتكرهيني .

شعرت وعد أن الغرفة تدور بها، وقدماها لا تقوى على حملها وبدأت تبكي، تبكي كطفل تركته أمه في أول يوم له في المدرسة .

شعر محمد أنه تعجل في اتخاذ قرار الرحيل، ولكن ليس بيده غير هذا الحل .

محمد بحزن: طيب ممكن تهدي ومتعيطيش، بكرة هتعرفي إن ده أريح حل والله يا وعد .

تملكت شجاعتها لتنقذ ما تبقى من كبريائها وكرامتها قائلة: ومين قالك إني مش مقتنعة إن ده الحل، أنا كمان موافقاك في إننا نبعد، ربنا يوفقك في حياتك .

ثم أغلقت الهاتف نهائيًا ولم تنتظر رده .

* * *

سمعت فريدة صوت شهقات وعد تأتي من غرفتها فاتجهت نحوها مسرعة، وما إن فتحت الباب حتى وجدتها تدفن رأسها في الوسادة وتبكي، ولأول مرة تراها على هذه الحال !

فريدة بفزع: إيه، إيه، حصل إيه مالك؟!!

– عاوز يبعد يا فريدة، عاوز يبعد ويسيبني، أنا مبقتش أعرف أواجه أي حاجة من غيره، بيقولي هبعد علشان مسببلكيش مشاكل بس هو غبي، غبي ومقدرش يفهم إن بعده ده هيكون أكبر مشكلة، لما ببص لصوره وأشوف ضحكته، بقول مستحيل شخص زي ده يكون بالقسوة دي، بيوحشني أوي بجد، أنا كل يوم بشوف في الشارع ناس كتير، ليه هو

ميكونش واحد منهم، ليه أكتر واحد أنا محتاجة أشوفه، هو اللي يكون بعيد عني!!

- طيب اهدي يا وعد، أنتِ عارفة إن أنا دايما صريحة معاكِ، أنا شايفة إن القراراللي أخده دا في منتهى العقل .

- أنتِ كمان هتقوليلي عقل، طب وكان فين العقل ده وهو بيهتم بيَّ، وشايفني بتعلق بيه كل يوم !

- طيب وأنتِ إيه اللي مخليكي متأكدة إنك بتحبيه، مش يمكن تكوني متعلقة بيه مش أكتر؟!

ضمت وعد ركبتيها واحتضنتهما بذراعيها، ثم نظرت لفريدة بضعف قائلة: عارفة أنا ليه متأكدة إني بحبه يا فريدة، علشان أنا قلبي شاف كتير وقليل ومدقش غير ليه، عشان هو الوحيد اللي حسيت إنه شبهي، حسيت إنه محتاجلي جنبه حتى من غير ما يطلب، عمري ما لاقيت حد بيفهمني من غير ما أتكلم زيه، بيحس إني محتاجاله قبل ما أنطقها، بيخاف عليَّ وبيحاول يفرحني بأي طريقة، فبالتالي مكانش بإيدي حاجة غير إني أحبه.

هي لا تعلم هل تحبه؟ أم أنها مجرد أصدقاء؟ أم أن حزنه هو الذي جذبها إليه؟ فهو يشبهها كثيرًا حتى في حزنها.

ولكن على أي حال، هي تريده بجانبها، حتى وإن كانت علاقتهما بلا مسميات.

جاء اليوم المنتظر للجميع، يوم زواج فريدة وحسام .

أصرت وعد أن ترافق فريدة منذ الصباح لتشاركها تفاصيل هذا اليوم الذي طالما تخيلتاه سويا منذ طفولتهما .

وبعد مرور عدة ساعات خرجت فريدة بفستانها الأبيض، وشعرها منسدل على كتفيها وتبتسم ابتسامتها الجذابة التي زادتها جمالًا، فقد كانت تشبه البدر في ليلة تمامه، فعندما رأتها وعد وضعت يدها على فمها وركضت نحوها واحتضنتها بقوة وظلتا تبكيان من شدة الفرحة، ثم التقطتا بعض الصور الفوتوغرافية معا، واتصلت فريدة بحسام لتخبره أنها قد أصبحت مستعدة ليصحبها

– داخل القاعة.....

دخلت فريدة القاعة وأسرت قلوب الجميع بجمالها وأولهم حسام الذي لم يستطع أن ينظر لشيء سواها .

فريدة: بص للناس يا حسام مش كده أنا مكسوفة لوحدي أصلا .

– ناس إيه بس وأنتِ معايا، أنا مش قادر أصدق إن خلاص بقينا لبعض .

– لا يا حبيبي صدق أنا ليك وده فرحنا ودول المعازيم والليلة دي كلها علشانا.

– أنا من كتر فرحتي مش مستوعب، اضربيني أو اقرصيني يمكن أصدق.

– بس كده يا حبيبي.. عنيا .

– آآاه آآاه.. بس يا مجنونة بتقرصيني بجد.

– أيوه بقرصك علشان تصدق يا روحي .

– مجنونة والله، أنا متجوز بنت أختي باين!

رفعت فريدة حاجبيها ببراءة قائلة: مش عاجبك يا بيه ولا إيه عامة إحنا لسة على البر أهو .

– لالالا عاجبني ونص والله ده أنا ما صدقت، أحلى مجنونة شوفتها والله .

ابتسمت فريدة ابتسامة كادت أن تقتله، فهمس لها في أذنيها قائلا: النهاردة أسعد يوم في حياتي، بقالي سنين بتخيله .

ارتجفت، وشعرت للتو أنها عروس، وليست كأي عروس بل عروس لحبيبها، الذي تحبه منذ نعومة أظافرها، هو الذي علمها كيف تحب، وكيف يدق قلبها، علمها أن الانتظار والصبر لا يضيع هباءً بل على قدر صبرنا ستكون سعادتنا، وها هي صبرت ونالت.

ولكن هل ستستمر سعادتها؟ أم أن حقا دوام الحال من المحال!!!

بعد انتهاء الحفل، ودعت وعد صديقتها وأخبرتها أنها ستسافر في غضون أربع ساعات، ولن تستطيع الاتصال بها إلا عندما تعود.

قبلتها ودعت الله أن يكمل فرحتها، ويجعله خير زوج لها، ويرزقهم الذرية الصالحة.

أمن حسام وفريدة على دعائها، ثم ذهبت إلى بيتها لتعد أغراضها قبل السفر.

* * *

أعدت حقيبتها ووضعت جميع احتياجاتها خلال هذا الشهر، وجلست على الأريكة حتى يأتي ميعاد سفرها .

لأول مرة تشعر بالوحدة هكذا، أبيها وأمها على قيد الحياة ولكنها وحيدة، نهضت، وذهبت لتنظر لنفسها في المرآة ..

بكت!!

بكت كأنها لم تبكِ من قبل، بكت وحدتها، وسذاجتها وخذلانها من أبيها، الذي لولا غيابه لما بحثت عن الأمان خارج البيت، لما خُذلت في كل مرة تذكرته .

اشتاقت إلى سماع صوته رغم أنه منذ عدة أشهر لم يتصل بها هي ووالدتها، فقررت أن تهاتفه هي لعلها تستمد قليلًا من الأمان .

- آلو يا بابا .

- وعد! ازيك يا حبيبتي، عاملة إيه أنتِ وماما؟ طمنوني عليكم .

شعرت بنغزة في صدرها من سؤاله هذا، فهو حتى لا يعلم أن أمها ليست في المنزل، ألهذه الدرجة يغفل عنهما!!

- إيه يا وعد مبترديش ليه؟ وماله صوتك؟

- هو إحنا موحشناكش يا بابا!!! أنت مش حاسس باللي حاسين بيه، أنت مش حاسس إن ضهرنا مكشوف وأنت مش في البيت، مش حاسس بعدم الأمان اللي كل لحظة بنعيشه من غيرك!

اتنين ستات في بيت واحد، بيتأكدوا مليون مرة مين على الباب قبل ما يفتحوا، علشان لو حد سرقهم أو قتلهم مش هيعرفوا يدافعوا عن نفسهم!

مش عارف إني هسافر بكرة مكان غريب تبع شغلي، فاضطريت أروح أودي ماما إسكندرية عند خالتو علشان مسيبهاش لوحدها!

هو لازم نطلب منك ترجع علشان ترجع؟!!

صُدم والدها من هذا الكلام، فهو لأول مرة يسمع حديثًا لطالما هرب منه، صُدم من بكائها، شعر بالخزي لأنه جعلها تحدثه هكذا، وتكشف له حقيقته!!

- اهدي يا وعد، عندك حق يا بنتي وهانت والله هانت وهنزل قريب أووي، أنا عارف إني غبت عنكم بس كل ده علشان أطمن على مستقبلكم مش أكتر.

هدأت قليلا، لأنها شعرت بالندم في صوته وهذا يكفي .

وعد بصوت متقطع: أنا آسفة يا بابا، بس كان لازم أقولك كده، ارجع علشان أنا محتاجالك، ارجع عشان منبقاش أسوأ من كده، ارجع عشان أنا محتاجة حضنك، محتاجة صوتك وزعيقك وهزارك، ارجع عشان أنا

وماما لوحدنا ومحتاجينلك أووي، مش عاوزين فلوس، إحنا مستعدين ننام من غير عشا بس كفاية نفَسَك معانا في البيت .

أدمعت عيناه من الحزن، فقد كان كلام ابنته بمثابة صفعة على وجهه.

قصت عليه وعد تفاصيل سفرها، وأوصاها ببعض النصائح، ثم ودعته وأغلقت الهاتف .

* * *

بعدما أغلق والدها الهاتف، دخل صديقه وسأله ماذا حدث؟!

نظر إلى الارض بحزن، ثم قال: "كنت متعود تفتحلي حضنها في آخر اليوم، كنت بصبّر نفسي طول اليوم في الشغل إني هروح بالليل ألاقيها مستنياني، كنت أدخل من باب البيت أحط راسي على رجليها وتمسح على شعري بحنية، أقسملك إني كنت بحس إنها بتمسح كل الأفكار اللي تعباني، كانت لما تلاقيني تعبان وعندي مشاكل، كانت بتحاول تساعدني في حلها، أضعف الإيمان لو معرفتش تحلها معايا، تقوم قايلالي أنا عارفة إيه علاجك، وأبص ألاقيها فاتحالي دراعاتها، وأنا كنت ما بصدق أترمي في حضنها.

كانت بتداوي كل همومي بابتسامتها وعمايلها للأكل اللي بحبه، وتحاول ترضيني بكل الطرق، استحملت مني كتيير أوي وشافتني في أصعب الأوقات وعمرها ما اعترضت.

كانت بتديني ثقة في نفسي وفي رجولتي كل يوم، كانت قايمة بدور كل اللي في حياتي، وكل ما واحد يخرج من حياتي تزود اهتمامها وحنيتها أكتر علشان تعوضني وتثبتلي إنها قادرة تغنيني عن الكل. بس للأسف!! أنا كنت غبي، غبي وأناني مبفكرش غير في نفسي، كنت بجري ورا الماضي، لحد ما رجعت في يوم ملقيتهاش، لقيتها سايبالي ورقة مكتوب فيها، (أنا مشيت المرة دي بجد، مشيت مش علشان أنت وحش، لا، بس علشان أنت مش حاسس بيَّ، بتبقى في حضني ومش مطمن، بتبقى جنبي وقلبك وعقلك مش معايا، أنا مشيت مش علشاني، أنا لو عليَّ أعيش جنبك العمر كله ومسيبكش لوحدك أبدا، بس أنا مشيت علشان كرامتي، علشان مجيش عليها زي ما أنت جيت عليَّ، أنا عارفة إنك أحن وأطيب راجل في العالم، و لما بتحب بتدي من غير حساب، يمكن لو كنت قاسية معاك وبسيبك تهون عليَّ كنت حبتني وفضلت تجري ورايا

وتتمنالي الرضا بس أنت كنت بتعمل كده علشان متأكد إنك هترجع تلاقيني، وإني لما بهدد إني هبعد عنك مبقدرش أبعد، بس المرة دي قدرت!!، قسوتك قسّتني، هجرك ليَّ قواني، أنا كان جوايا حب وحنية قد الكون، مكنتش عارفة كده إلا لما حبيتك، حسيت إنك ناقص حنية واهتمام وحب، عطتلك كل اللي عندي لحد ما بقيت فاضية وطاقتي خلصت، أنت استهلكت كل اللي كان فيَّ.).

أدمعت عيناه، ولكنه حاول أن يبدو قويًا فـأكمل: بس رجعنا لبعض تاني، لما عرفت إنها حامل في وعد، مقدرتش أستنى، وعد اللي رجعتنا زمان وجمعتنا من تاني، وهي برضو اللي هتخليني أفوق من الغيبوبة دي وأرجعلهم دلوقتي.

* * *

اتصل سيف بهم جميعا، وأكد عليهم المكان الذي سيجتمعون فيه، وفي الساعة الرابعة فجرًا، كان الجميع قد وصل .

سيف: كدا كلنا موجودين يا جماعة؟ علشان الأتوبيس هيتحرك الساعة 4 ونص بالظبط .

شهاب: فاضل وعد بس يا مستر سيف، أنا كلمتها وهي على وصول.

كان الجميع منهمكًا في إعداد الحقائب لوضعها في وسيلة المواصلات التي ستنقلهم.

عندما جاءت وعد، انتبه شهاب لها، وبصوت مرتفع: مستر سيف.. وعد وصلت أهو، كده إحنا كاملين، نقدر نتحرك دلوقتي .

وهنا التفت وائل ليرى من هي وعد التي يتحدثون عنها، عندما رآها ظل يحملق بها عدة ثوان، ليتأكد أنها هي فتاة القطار التي يبحث عنها في وجوه كل النساء، ولكنها لم تلمحه بعد! فواصل النظر إليها، وظل يردد اسمها بداخله.. وعد! جميل هذا الاسم، جميل مثل صاحبته تمامًا.

* * *

***داخل الأتوبيس ***

تعمد وائل الجلوس في مكان يسمح له برؤيتها، أما وعد فكانت مرهقة لدرجة جعلتها تغط في نوم عميق.

وهنا انتهز وائل تلك الفرصة وظل يراقبها، تبدو كالملاك حقا وهي نائمة.

لاحظت حنين أن وائل لم يتحدث منذ أن أتت تلك الفتاة، فسألته باهتمام: وائل، أنت تعرف البنت دي؟

وائل باندهاش: بنت؟ بنت مين دي؟

- اللي قاعدة في الكرسي الرابع هناك دي، ثم اشارت إلى وعد، صُدم وائل قائلًا: لأ طبعا.. هعرفها منين، بس ليه بتقولي كده؟

حنين بغيرة واضحة: لأ أبدًا يا دكتور.. أصل سيادتك من ساعة ما هي جت وعنيك منزلتش من عليها.

* * *

مؤلمة هي الغيرة حينما تكون على شيء لا نملكه، على شخص لا يشعر بنا، لا يشعر بالمعاناة التي نعانيها حينما يقترب منه أحد، نحن أصحاب القلوب التي تحب دون مقابل، تتضرر ألمًا وشوقًا وعشقًا لقلوب عمياء لا تستحق!!

إن دائرة الحب لا تُغلق أبدًا وطرفاها لا يلتقيان، لأن من تحبه لا يحبك، بل يحب غيرك، وغيرك لا يحبه بل يحب غيره الذي لا يشعر به أيضا، وإذا أحببتم بعضكما البعض.. هنا تأتي الظروف لتفرقكما!!!

* * *

في منتصف الطريق أخبرهم سيف أنهم سيأخذون قسطًا من الراحة في أحد الأماكن.

بالفعل استعد الجميع للنزول، وبينما وعد تعدّل هيئتها وترفع حقيبة اليد الخاصة بها، وقعت عيناها على وائل.

كانت على يقين تام أنها رأت تلك الملامح من قبل، خاصة لأنه كان يبادلها النظر، إذن يبدو أنه يعرفها هو الآخر، ويبدو أنه يريد أن يبدأ حديثًا معها!!

وبعد تفكير ومحاولة منها في تذكره، استطاعت أن تتذكر أن هذا هو الشخص المجهول الذي قابلته في القطار، أثناء رحلتها إلى الإسكندرية، وسرعان ما استنتجت من معطفه الأبيض، أنه من الأطباء الذين سيرافقونهم في رحلتهم، كما أخبرهم سيف قبل ذلك.

* * *

داخل المكان الذي اختاره سيف للاستراحة

كانت سلمى تجلس وتعبث بهاتفها، وهي تتناول كوبًا من عصير البرتقال، رآها شهاب فاتجه نحوها...

شهاب: لو سمحتِ.. هو حضرتك معانا صح؟

سلمى بجدية: تقريبا كده، أفندم عاوز حاجة؟

شهاب بابتسامة بلهاء: طب إيه نظامك معانا في المشروع، يعني وظيفتك إيه؟

سلمى بغضب: هو أنت نظرك ضعيف ولا حاجة، مش شايف البالطو الأبيض ده، ولا مش مالي عينك؟!!

– إيه ده أنتِ دكتورة، طيب مادام أنتِ شايفة إن نظري ضعيف ممكن تقيسيهولي بقى ولا إيه!

– لأ هو مش ضعيف، هو عليه شوية تراب كده، وهيبقى تمام متقلقش .

– طيب يلا قومي بواجبك كدكتورة بقى وعالجيني .

سلمي بجدية: آه ده أنت بتستظرف!! ثواني وهقوم بواجبي حاضر .

ثم أمسكت بكوب البرتقال وسكبته في وجهه قائلة: أعتقد إن كده التراب اللي على عنيك اتمسح وبقيت تشوف أحسن.

شهاب بغضب: أنتِ مجنونة، أقسم بالله مجنونة .

ثم أخذت حقيبتها وهاتفها وتركت له المكان وغادرت.

شهاب محدثًا نفسه: عنيفة أوي، لأ ومجنونة كمان، بس تمام كده هي اللي بدأت، خليها تستحمل بقى!!

بعد انتهاء زفاف فريدة وحسام سافرا ليقضيا وقتًا ممتعًا سويا، ربما يعوضهما عن سنوات الغياب التي كانت تنهش روحهما وهما مغتربان، وكل منهما في حاجة إلى كتف الآخر.

* * *

داخل البيت

دخلت فريدة من الباب، وهي تسير على استحياء، هي مازالت تشعر أنها داخل حلم جميل، لا تريده أن ينتهي .

هل حقا سيغلق عليهم باب واحد!

هل سيجمعهم سقف غرفة واحدة وفراش واحد!

هل سيتناولون الطعام سويا!

هل حقا كلما أرادت أن تراه، ستجده أمامها ولن تنظر لصوره مجدداً، وكلما شعرت بحاجة إلى صوته ستسمعه دون معاناة؟ !

أمسك حسام وجهها بكفيه، ثم انحنى ليقبل جبهتها برقة عهدتها منه، أجفلت عينيها وتركت نفسها له.

أزاح هو خصلات شعرها المنسدلة على كتفيها، ثم همس في أذنيها قائلًا: بحبك .

لتنهار حصونها ويبدأ صدرها يعلو ويهبط كأنها كانت تركض منذ بضع ساعات.

ضمها بقوة إلى صدره ليرى ولأول مرة ردة فعل منها، حيث تشبثت بعنقه بشدة، إشارة منها ألا يبتعد، فاستجاب هو الآخر لرغبتها، وحملها بين يديه وهي تدفن رأسها في عنقه، ثم وضعها برقة على الفراش، ليبدأ معها حياة جديدة وتزول كل الحواجز بينهما ليصبحا كيانًا واحدًا.

* * *

بعد عدة ساعات وصلوا أخيرًا إلى مكان المشروع، كان المكان هادئًا تمامًا، يشبه الصحراء كثيرًا، ولكن سيف طمأنهم عندما أخبرهم أن المكان الذي سيبيتون فيه، قريبا من هنا .

اجتمع سيف بهم وأخبرهم أنهم سيبدأون العمل غدا، واليوم إجازة ليرتاحون فيه من طول الطريق.

أثناء الاجتماع كان وائل ينظر إليها من حين لآخر، بينما هي تحاشت النظر إليه حتى لا يراها أحد ويسيئ فهمها.

أما شهاب فكان ينظر إلى سلمى بتوعد مصحوب بمرح، وهي تنظر له بازدراء، يبدو أن تحديًا بينهما بدأ للتو، ولكن من سينتصر؟!

دخلت وعد غرفتها التي تشاركها بها نهى، لتجدها نائمة، بدلت ملابسها وكانت قد أحضرت معها مذكرة صغيرة لتدون بها ما يجول بخاطرها، طالما أنها لن تستطع التواصل مع أهلها طوال مدة العمل.

بدأت أولى صفحات المذكرة بكتابة رسالة إليه :

"إنه أول يوم لي في هذا النوع من العمل، ويصادف أنه أول يوم من الشتاء أيضا، لا أذكر هل أخبرتك أنني أعشق المطر أم لا، ولكن دعني أخبرك أنني أحب الشتاء ببرودته، التي دائما ما تذكرني ببرودة مشاعرك، صنعت كوبين من القهوة من أجلنا رغم علمي أنك لن تأتي وجلست بجوار النافذة، أتاني صوت فيروز: بشتاقلك، لا بقدر شوفك ولا بقدر أحكيك

بندهلك خلف الطرقات وخلف الشبابيك.

لا أعلم من أين أتاني صوتها، ولكن حتما جاءت كلماتها في وقتها تماما، لتشعل في صدري الحنين إليك أكثر!

كنت في ذلك الوقت على وشك الانفجار، وكلمات فيروز قامت بتلك المهمة، أعلم أن هناك مسافات شاسعة تفصل بيننا، فأنت تعيش شتاءك في مدينتك، وأنا أعيش شتائي هنا وحدي.

أتمنى أن يحالفني الحظ يومًا وأقضي الشتاء بجانبك في الإسكندرية، فما أجملها في الشتاء!!، وما أجمل أن نسير معا تحت المطر، ثم نعود إلى بيتنا لنقضي الباقي من الليل بجوار المدفأة ونتحدث أثناء احتساء كوبين من القهوة معًا.

* * *

في بيت محمد.....

فرد قدماه على الطاولة أمامه، ونفث دخان سيجارته كأنه ينفث وجعه معه، ثم قال: تعرف يا عبد الرحمن؟ أنا بحب وعد، بحبها أوي بحبها لدرجة إني بعدتها عني علشان خايف عليها، خايف أوجعها وساعتها مش هتألم ولا هندم، أنا مبقاش عندي طاقة والله .

ثم أدمعت عيناه ونظر إلى نقطة ما في الفراغ كأنه يراها، واستكمل حديثه: وعد أطهر وأرق من إنها تكون لواحد زيي، واحد عايش حياته غلط في غلط وحياته مكركبة، أنا عارف إنه مش ذنبها إنها حبتني، مش ذنبها إني حبيت بنت قبلها، أخدت كل الحلو اللي فيَّ ومشيت، أنا مبقاش عندي مشاعر تليق بيها علشان أعطيهالها، وعد لو فضلت جنبي هتندم وهتتظلم.

كان عبد الرحمن مصدومًا لهذا الحديث، هو أول مرة يرى صديقه يبكي، أول مرة يتحدث معه باستفاضة هكذا منذ سنوات.

نهض عبد الرحمن ووقف بجانبه، ثم وضع يده على كتفه قائلًا: طيب لما أنت بتحبها أوي كده، ليه متغيرش نفسك علشانها، طالما البنت بتحبك هتفضل معاك وتستحملك لحد ما تتغير.

- مهما اتغيرت يا عبد الرحمن، آثار الماضي عمرها ما هتفارقني، مهما عملت مش هتولد من جديد .

- طيب ممكن تفهمني إيه الحل دلوقتي؟ !!

صمت محمد عدة ثوان قبل أن يتحدث بجمود: الحل إني لازم أكرهها فيَّ، لازم أخليها هي اللي تبقى عاوزة تبعد من غير ما تحس إني أنا اللي بعدتها .

عبد الرحمن بجدية: أنت مجنون!! ازاي هتتصرف عكس مشاعرك؟ وخصوصا إنك زي ما بتقول إنها محتاجالك جنبها، وأنت كمان محتاجلها، أنتم الاتنين وجودكم ضروري في حياة بعض، ثم أمسكه من ياقة قميصه بقسوة: أنا مش هسيبك تضيع نفسك تاني يا محمد، فاهم، مش هسيبك تروح للموت بإيديك وأقف أتفرج، وعد دي بالنسبالك

طوق نجاة ومش هينفع تسيبها، ثم تركه وأخذ مفاتيح سيارته بعنف وغادر.

غادر عبد الرحمن وتركه لأفكاره التي كادت تقتله!

هو يعلم أن صديقه لم يخطئ في أي حرف، هي بالنسبة له طوق نجاة، فلولا وجودها بجانبه لما استطاع أن يجتاز تلك المرحلة بسلام.

و يعلم أيضا أن كلاهما في حاجة إلى الآخر، فدائما كان يذهب إليها مثقلًا بالهموم ويعود وهو يشعر أن حملًا ثقيلًا انزاح من على قلبه، فقد كانت تلك الضعيفة لها قدرة فائقة على جعله أفضل، بلا هموم، كان يشعر وهو يتحدث معها عن أحزانه أنها لو بيدها لنقلت كل أحزانه إليها، من أجل أن تراه سعيدًا.

أمثلها يُترك؟!!! أمثلها يستحق أن يُعامَل بتلك القسوة؟!

أم أنك أنت من لا يستحق مثلها؟!!

مرّت عدة أيام على زواج فريدة وحسام، علمت فريدة وقتها أن الزواج أجمل مرحلة في حياتها، وتعجبت كثيرًا من صديقاتها اللاتي كن يتحدثن عن الزواج وكأنه الحساب العسير بعد الموت، لدرجة أنها اعتقدت أنهن كن يتحدثن هكذا لأنهن يخافن من الحسد لا أكثر .

حقا إن كل مرحلة في حياتنا، تختلف من شخص لآخر، فالسعادة أمر نسبي يقتصر علينا، فمن يريد السعادة سيخلقها مهما كانت ظروفه.

وفي يوم مشئوم، قامت فريدة لتوقظ حسام ليتناولا وجبة الإفطار على شاطئ البحر كما اتفقا أمس، أمسكت فريدة ذقنه وداعبتها برقة: حسام، قوم يلا يا حبيبي بلاش كسل أنا جعانة .

-.....

- مالك النهاردة مصحتنيش من النجمة يعني زي كل يوم يا بيه؟!

تعجبت فريدة من عدم رده عليها، بالإضافة إلى برودة وجهه

شعرت أن نبضها سيتوقف، عندما وجدته ساكنا لا يتحرك ولا يستجيب إليها.

فريدة بذعر: أنت بتعمل كده ليه؟!! في إيه يا حسام، بص هزار رخم لأ .

هزته بعنف وظلت تلكمه بقوة لعله يتحرك ولكن دون جدوى

بدأت تبكي وتصرخ مثل طفل تائه عن أمه في الزحام

سمع العاملون في الفندق صوت الصراخ، فأسرعوا إلى مصدره ثم..

أحد العاملين: خير يا مدام، إيه اللي حصل؟

ولكنها لا تشعر بأي شيء حولها، هي تهزه وتصرخ فقط .

جاء الطبيب الخاص بالفندق، وفحص حسام ليجد أن نبضه توقف بالفعل لسبب غير واضح، أمر الطبيب ممرضته أن تأخذ فريدة إلى خارج الغرفة، لكنها رفضت، حتى تعلم ماذا حدث!!

الطبيب بأسف: البقاء لله يامدام.

مرت تلك اللحظة عليها، كأنها ألف عام، وهزت رأسها بالنفي عدة مرات قبل أن تصرخ قائلة: براااا ....اطلع براا.

حاول جميع من في الغرفة تهدأتها ولكن لا فائدة، فقد مات وانتهى الأمر .

ذهبت فريدة إليه وأمسكت بذراعه قائلة: قوم يا حسام، قوم علشان تثبتلهم إنهم مش بيفهموا حاجة.. قوم يا حبيبي، أنت كويس، أنت بس عاوز تعرف غلاوتك عندي .

أشفق عليها كل من رأى ذلك الحادث، وأمر الطبيب الجميع بالخروج، وأنه سيعود بعد قليل ليعطيها حقنة مهدئة حتى يستطيعون القيام بإجراءات الدفن.

بعدما خرج الجميع من الغرفة، نامت فريدة بجواره ورفعت ذراعه ولفتها حول خصرها، واحتضنته بقوة ونامت على صدره قائلة والدموع

تهطل بغزارة من عينيها: أنت بتعمل فيَّ كده ليه؟! بتوجع قلبي عليك ليه، ليه بتسيبني لوحدي تاني؟ أنت مش قلت إنك هتعوضني عن كل الفراق اللي فات!! ليه عاوز فراق تاني؟!

طب لو حصلت حاجة زعلتك مني وبتعاقبني عليها، أنا آسفة، قوم وأنا عمري ما هزعلك تاني، أنت عارف إني ماليش غيرك، ليه هتسيبني أبقى لوحدي تاني، طيب أنت نايم شوية بس صح؟ بص، أنا هنام دلوقتي معاك ونصحى سوا .

ظلت تقبله، وتلصق نفسها به أكثر، وتضع أذنها على صدره لعل النبض يعود ولكن قد استرد الله أمانته!

* * *

لاحظت حنين اهتمام وائل الشديد بوعد، وخاصة حينما فقدت توازنها ذات يوم بسبب تناولها كوبًا من القهوة، تذكرت كيف قلق عليها، وأسرع ليحملها وأحضر أدواته الطبية ليفحصها، وكيف نصحها بشدة ألا تتناول القهوة مرة أخرى؛ لأنها تسبب اضطرابًا في ضغطها. وقد تأكدت ظنونها حينما كانت ذاهبة لتشتري أشياء تحتاجها فوجدتهما معا ثم...

وائل ينظر لها بلهفة لم ترها من قبل: آنسة وعد، أنا مش هاخد من وقتك كتير، أنا مش بعاكس والله حتى لما كنت ببصلك كتير، كان بيكون غصب عني، حاسس إني عارفك، حاسس إني مش عاوز أبعد عنك أبدًا، لما قابلتك في القطر، فضلت أدور عليكِ بعديها كتير ولما يأست سبتها على ربنا، وأهو ربنا جمعنا تاني فأكيد ليه حكمة في الموضوع ده!! أنا مش هلف ولا هدور، أنا عاوز أتقدملك.

وعد بخجل: أنا متشكرة لمشاعر حضرتك الرقيقة دي بس للأسف، أنا مش بفكر في الارتباط، حضرتك تستاهل كل خير بعد إذنك.

صدم وائل من ردها السريع، دون أن تعطي نفسها فرصة للتفكير .

وائل وهو يعدل نظارته الطبية بإحراج: ولا يهمك، وأكيد في حكمة في الموضوع ده، وآه صحيح بلاش قهوة على الريق تاني .

ابتسمت لحديثه، وتذكرت أن فنجان القهوة صباحًا من أهم طقوس يومها، فاليوم لا يكتمل بدونه، حتى وإن كان يهلكها ولكنها أدمنت القهوة ولا تستطيع أن يمر يوم دون أن تتناول كوبين على الأقل!

في ذلك الوقت، تذكرت محمد، وشبهته بالقهوة، وتذكرت كيف تحبه رغم أنه يقسو عليها ويعذبها، ولكنها لا تستطيع الإقلاع عن حبه، فشعرت أنها ستقلع عن حبه إذا أقلعت عن تناولها للقهوة، يبدو أن الأمرين شيء مستحيل!!

❋ ❋ ❋

"اخترقتني كالصاعقة، فشطرتني نصفين،
نصف يحبك ونصف يتعذّب لأجل النصف الذي يحبك".

"غادة السمان"

صُعقت حنين من سماع الحديث الذي دار بين وائل ووعد

هي كانت تعلم أنه سيأتي يوم ويحدث هذا، ولكن هي رأته بعينيها، رأت لهفته وهو معها، رأت لمعة عينيه، سمعت رقة حديثه، سمعت اعترافه بأنه يريدها بجانبه .

وماذا عنها، هي التي فعلت كل شيء من أجلك، من أجل حب أعمى يدمرها ليسعدك، ينقصها ليكملك، كل هذا وأنت لم تنتبه!!

أسرعت حنين إلى سلمى لتقص عليها ما حدث، لتقابله سلمى بحزن على حال صديقتها الذي وصلت إليه بسبب تلك المشاعر تجاه شخص لا يشعر بها!!

* * *

قد يكون الحب بجوارنا، ونحن نبحث عنه، قد يكون أمامنا ونمّرعليه دون تأثر، نتخطاه لنبحث عنه في قلوب لا تريدنا، ربما لأنها ممتلئة بعشق غيرنا، أو ربما لأنها ذاقت الحب وتألمت منه، ولا تريد تكرار هذا الخطأ.

* * *

ظلت حنين تبكي على صدر سلمى، حتى نامت من كثرة الحزن.

وضعتها سلمى برفق على الفراش، ثم خرجت من الغرفة، قامت بوضع سماعات الهاتف في أذنيها، وبدأت تسمع الموسيقى، في نفس التوقيت خرج شهاب من الغرفة، ولكنها لم تنتبه له، ظل ينظر إليها ويبتسم، ولا يعرف ما السبب الذي جعله يتحدث معها أول مرة .

تذكر حديثهما، وتذكرها وهي تسكب العصير عليه، ضحك بشدة، اجتاحه إحساس غريب عندما رأى الهواء يداعب خصلات شعرها، وهي تضعها خلف أذنيها، وبينما هي تسير، هجم عليها كلب....

صرخت بشدة ثم.....

عندما رآها شهاب أسرع إليها وأنقذها، بكت بشدة قائلة: أنا.. أنا متشكرة يا.....

- شهاب، اسمي شهاب .

- أنا متشكرة يا شهاب .

شهاب بابتسامة: العفو ولا يهمك يا دكتورة .

تذكرت ما حدث بينهما أول مرة فقررت أن تعتذر فقالت وهي تنظر في الأرض بخجل: وآسفة كمان علشان اللي حصل قبل كده .

شهاب متعمدًا إغاظتها: هو في حد بيبقى قمر كده وهو بيعيط !

تحولت ملامح الخجل إلى غضب ثم كورت يدها ولكمته في صدره كتفه: تصدق أنا غلطانة!

– ده أنا لسة، مانع الكلب عنك، لولايا كان زمانه اتعشى بيكِ، ولا كان حد هيحس .

– ما أنت اللي بتعاكسني، المفروض أقولك إيه يعني! لما تبقى تتكلم بأدب، هبقى أتعامل معاك.

ثم أولته ظهرها، واتجهت نحو الغرفة مسرعة وهي تشعر بسعادة لا تعرف مصدرها.

وكان شهاب أيضا لا يختلف عنها، فقد شعر بالسعادة بسبب حديثها، ثم وضع يده في المكان الذي لكمته فيه وابتسم.

* * *

حاولت نهى طوال فترة العمل أن تجذب نظر سيف إليها، وتنفذ تعليمات والدتها كما هي، ولكنه لا يُعنيه تلك الأفعال، وكان يتجاهلها في كل مرة.

جاء اليوم الذي انتهى فيه دورهم في المشروع، وكل منهم سيعود إلى حياته مرة أخرى .

بعد وصولهم إلى القاهرة، ذهبت وعد إلى بيت فريدة أولًا لتطمئن عليها، فقد مر شهر دون أن تراها أو تسمع صوتها

* * *

في بيت فريدة

طرقت وعد الباب عدة طرقات لتفتح لها والدة حسام، ترتدي جلبابًا أسود، وعيناها منتفختان.

وعد بقلق: خير يا طنط في إيه؟!

-.....

هرولت تجاه غرفة فريدة لتجدها متكومة على الفراش وصورة حسام بين يديها، وترتدي بنطالًا أسود وقميصًا بنفس اللون.

وعد بفزع: فريدة!! إيه ده حصل إيه؟!!

احتضنتها فريدة بقوة، وبكت كأن رصيدها من الدموع لم ينفد، وكيف ينفد وقد ذهب كل ما تملك!!

فريدة بصوت يكاد لا يسمع: سابني يا وعد، قعد معايا أسبوع واحد بس، قبل ما ينام قالي: "أنا خايف أسيبك في يوم غصب عني"، مصدقتش، متوقعتش إني ممكن أصحى في يوم ألاقيه جثة، ألاقيه

مبيتحركش، أهز فيه وأحركه ومفيش فايدة، ده كان لسة يا وعد بيقولي: "هنفطر كمان ساعتين على البحر"، عارفة يا وعد، أنا لو كنت أعرف إن اليوم اللي هيمشي فيه ويسيبني قريب أوي كده، أنا كنت مش هعمل أي حاجة غير إني أبقى جنبه وفي حضنه وبصاله، مكنتش هسيبه وأنام أبدا، مكنتش هزعله ولا أضايقه، وحشني أوي يا وعد، وحشني أوي ونفسي أروحله!!

صُعقت وعد من حديث فريدة، ولم تتحدث بل ظلت دموعها تهطل، ثم ربتت على رأسها واحتضنتها بقوة قائلة: كل ده حصل وأنا مش جنبك، مريتي بكل ده لوحدك، أنا آسفة ياريتني ما سافرت ياريتني ما سيبتك ولا لحظة.

* * *

كان محمد يعلم أن وعد ستأتي اليوم، كان يمسك بهاتفه ليتصل بها ويطمئن عليها، ثم يتراجع، وفي النهاية وجد نفسه يكتب: "وحشتيني" . ثم ضغط على زر إرسال.

❋ ❋ ❋

الطبيبة بأسى: عندها كانسر في الرحم يا سلمى، ولازم عملية قبل ما ينتشر .

فتحت سلمى عينيها بذهول، وتركت العنان لدموعها .

ولسوء الحظ، سمعت حنين كلام الطبيبة، ولكنها ابتسمت بهدوء قائلة: بتعيطي ليه دلوقتي، أنا كويسة قدامك مموتش يعني .

- معيطش!! أنتِ ازاي كنتِ مستحملة النزيف ده وساكتة، ازاي محسستنيش بأي حاجة، للدرجادي يا حنين!!

- مش أنتِ دايما بتقوليلي، إن كل واحد بياخد نصيبه .

- أنتِ لازم تسمعي كلام الدكتورة لازم يا حنين، لاااازم.

* * *

غادرتا العيادة، وفكرت سلمى في أن تُخبر وائل بالأمر، فهو الوحيد الذي سيقنعها بإجراء تلك العملية، ولكنها قررت ألا تفعل ذلك قبل أن تخبرها، فربما تغضب منها.

* * *

عندما نامت فريدة، استأذنت وعد من والدة حسام أنها ستذهب إلى بيتها لتبدل ملابسها وتطمئن على والدتها، وتعود حينما تستيقظ فريدة.
شكرتها والدة حسام، وأخبرتها أن فريدة لن تستيقظ إلا بعد يوم كامل لأنها وضعت لها منوم كما أمرها الطبيب.
حزنت وعد على حال صديقتها العروس، التي لم يلبث أن تحول فرحها إلى حزن، وفستانها الأبيض إلى أسود وانطفأت لمعة عينيها.

* * *

دخلت وعد بيتها فوجدته كما تركته، ألقت بجسدها على الفراش، ثم تذكرت أمر هاتفها المغلق، ففتحته لتطمئن على والدتها.
عندما فتحت الهاتف وجدت رسالته، فشعرت أنه دائما يأتي في أوقاته، فهي الآن لا تريد سوى البكاء معه، خاصة أنها افتقدته كثيرًا.
وجدت نفسها تضغط على زر الاتصال، ليرد هو في الحال .
وعد بصوت مختنق: أنا عاوزة أتكلم معاك، مش بستأذنك علشان هتكلم.
دق قلبه بقوة حينما سمع صوتها مرة أخرى، فقد اشتاق إليها حقًا!
محمد بهدوء: أولًا حمدًا لله على سلامتك، مالك؟ صوتك ماله؟!

قصت عليه ما حدث لفريدة، وأنها حزينة لحزن صديقتها .

محمد بتأثر: لا حول ولا قوة إلا بالله، طب وميعرفوش إيه السبب؟ !

- جاله فيروس، مش قادرة أستوعب اللي حصل بجد.

- ربنا يرحمه ويصبرها، خليكِ جنبها، باتي معاها النهاردة متباتيش في البيت لوحدك، وأنا بكرة هاجي أوصل مامتك علشان تعزيها، وأنا كمان أعزيها.

انصاعت لأوامره، وبدلت ملابسها، ثم عادت إلى بيت فريدة، شعرت بالتئام جروحها حينما سمعت صوته، شعرت بسعادة خفية بداخلها لأنه مازال يهتم بها، إذن لما الكبرياء؟، اللعنة على أي شيء يمنعه أن يكون بجانبها.

* * *

في بيت إبراهيم النجار....

دخل سيف البيت فوجد والده ينتظره، احتضنه وسأله عن أخبار العمل، كما أخبره سيف أنه يريد أن يحدثه في أمر خاص به .

سيف بجدية: بابا، أنا عاوز أقولك إني قررت أخطب .

إبراهيم بفرحة: أنت بتتكلم بجد يا سيف، مين دي وأنا من الصبح أكلم أهلها .

ضحك سيف قائلًا: يا حاج بالراحة بس، أنا هتكلم معاها الأول، وعموما هي وعد اللي كانت معانا، حسيت إنها بنت كويسة ومناسبة .

إبراهيم بسعادة بالغة: دي كويسة، ومحترمة ومؤدبة وجميلة، وبتحب الشغل أوي كمان، يا زين ما اختارت والله، ثم أكمل: أنا لو أعرف إن المشروع هيخليك تشوفها وتقرر القرار ده، أنا كنت عملته من زمان.

* * *

داخل المشفى ....

كانت حنين تفكر فيما وصل بها الحال، هي كانت تشعر أن النزيف الذي يتردد عليها غير طبيعي، ولكنها كانت تخشى أن تذهب إلى طبيب فتجد شيئًا خطيرًا.

يبدو أن كل ما نخشاه يحدث بالفعل!!

– وجدت نفسها تمسك قلمًا وورقة لتفرغ طاقتها فكتبت: رجل مثلك لا يُنسى، لا يصبح ماضيًا، لا أستطيع فعل شيء لنسيانك، وكيف أنساك وأنت أمام عيني في كل لحظة!

عالمي على وشك الانتهاء وإن كان لي أن أتمنى شيئًا، فلن أتمنى سوى أن أبكي على صدرك، وأشكو إليك تلك الآلام التي تنهشني، وتحرق بقايا الطفلة بداخلي.

ليت الاطباء يعلمون أنك دوائي، وأن تلك العقاقير التي يصفونها لا فائدة لها دونك.

أريدك أن تمنعهم من وضع السم بجسدي، أخبرهم أن صغيرتك لن تتحمل تلك العمليات الجراحية، أخبرهم أنك تستطيع استئصال ذلك الورم بطريقتك الخاصة، وأنك ستضمني إلى صدرك، وتربت على رأسي وتخبرني أنك أيضا تحبني ولكنك كنت تختبرني لتعلم هل أحبك أم لا!!

خرجت حنين من مكتبها، وتركت تلك الورقة عليه .

دخل وائل غرفة المكتب، وبينما هو يبحث عن هاتفه وجد تلك الورقة فعرف أن هذا خط حنين فقرأها.

ضم وائل حاجبيه وهو يقرأ تلك الورقة، ولكنه لم يهتم، هو يعرف أن حنين تحب القراءة، وتضع أوراق فارغة بجانبها وهي تقرأ لتدون الاقتباسات التي أعجبتها، فربما يكون هذا الاقتباس المؤلم أعجبها فدونته.

أوصل محمد والدة وعد بسيارته، أمام البيت ولكنه أبى الصعود، لأنه كان يشعر أنه لو رآها وهي تبكي سوف يضمها، كما أنه يفتقدها كثيرًا ويخاف أي ردة فعل طائشة منه تجعل الأمور أكثر سوءًا، ويجعلها تتعلق به أكثر.

احتضنت وعد والدتها وهي تبكي، ووالدتها تحاول تهدئتها

ثم سألتها عن محمد، فأخبرتها أنه رفض أن يصعد معها، وأنه سيغادر لأن هناك أشخاصًا ينتظرونه في مكتبه.

صُدمت وعد لكلام والدتها، لأنه أخبرها أنه يريد أن يراها، وأنه افتقدها، وهو بالفعل كان أمام بيتها ورفض رؤيتها، رغم علمه أنها في أشد الأوقات حاجة إليه!

* * *

- حنين.. أنا لازم أقول لوائل هو يعرف دكاترة كتير بره، ولازم تعملي العملية، مش هشوفك بتموتي وأقف أتفرج .

شعرت بنغزة في قلبها لأنه أكثر شخص تحتاج إلى وجوده الآن، ولو كان بجانبها لمرت تلك المرحلة بسلام.

حاولت أن تبدو قوية بخلاف ما بداخلها، ثم قالت بصوت متقطع: اوعي يا سلمى، وائل مبيحبنيش، وأي رد فعل منه وقتها، أنا هشوفها شفقة، وأنا عمري ما هقبل إني أبقى صعبانة عليه.

* * *

وصل محمد إلى مكتبه، وجد سيارة أمام الباب، يبدو أنها تنتظره.

عندما لمحت الفتاة الموجودة داخل تلك السيارة، سيارة محمد فتحت الباب وأسرعت نحوه.

دقق محمد في ملامح تلك الفتاة القادمة إليه، وإذا به يفتح عينيه بصدمة.. إنها علياء!!!

* * *

داخل الشركة....

عادوا جميعا من إجازتهم، وقررت وعد أنها ستهتم بعملها فقط، وستعطيه كل طاقتها .

وبينما وعد تتناول فنجانًا من القهوة دخل شهاب.

شهاب بابتسامة: وعد، بقولك إيه، أنا طالب منك خدمة .

- أكيد لو بإيدي مش هتأخر بس خدمة إيه؟

- الدكتورة سلمى اللي كانت معانا فاكراها؟

- أها مالها، بس ماليش علاقة بيها .

- طيب متعرفيش اسم المستشفى اللي كانوا فيها، أو العيادة، أي حاجة يعني أقدر أوصلها بيها؟

ابتسمت وعد وقالت: إيه ده.. هو شهاب وقع ولا إيه؟

- آه ياختي وقع ومحدش سمى عليه، ها هتفيديني بقى؟

- بص، نهى معاها الدفتر اللي فيه عنوان ورقم تليفون كل اللي كانوا معانا، هاته منها ودور فيه بقى.

نهض شهاب من على مقعده، ثم: لأ نهى إيه! ما أنتِ عارفة أنا ونهى دونت ميكس .

- خلاص أنا هجيبلك كل حاجة .

شكرها شهاب وابتسم إليها في امتنان.

دخلت نهى، ونظرت إليهم قائلة: وعد، مستر سيف عايزك مش عارفة ليه.

تعجبت وعد من لهجتها، وتعجبت أكثر من طلب سيف، فهي لا يجمعها أي عمل معه، فلماذا يريدها؟

ثم سألت نهى: طيب متعرفيش عاوزني في إيه؟

نهى بفضول: ما هو ده بقى اللي هتقوليلنا عليه لما تروحيله.

شهاب: صدق اللي سماكِ طنط حشرية والله، فضولك هيقتلك

نظرت نهى له بازدراء: ملكش دعوة، أنا بتكلم أنا وصاحبتي، إيه اللي دخلك!

حاولت وعد تهدئة الأمور بينهما، فهي تعلم أنهما لا يجتمعان إلا وتحدث كارثة!

* * *

داخل مكتب سيف....

دخلت وعد بهدوء كعادتها ثم انتظرت حتى يعطي لها إذنًا بالجلوس، وبعدما جلست، سيف بارتباك واضح على ملامحه: أنا هدخل في الموضوع على طول يا آنسة وعد، أنا عاوز أتقدم لأهلك علشان لو كان في نصيب أخطبك .

صُعقت وعد من حديثه، فهو لا يعرفها إلا منذ وقت قليل، ليس كافيًا ليحدثها هكذا!

صمتت في خجل ولم ترد عليه، فتحدث قائلًا: معاكِ مهلة تفكري على أقل من مهلك، وهكلمك تاني علشان أعرف رأيك .

نهضت من على مقعدها وهي لا تنظر إليه قائلة: إن شاء الله، بعد إذن حضرتك.

- اتفضلي.

* * *

شعر وائل أن حنين تغيرت كثيرًا، وذبلت ملامحها، أصبحت لا تتحدث معه كأنها لا يهمها أمره!

تفقد اهتمامها وحديثها المرح، شعر بشيء غريب يجتاحه حينما يراها! هو يعلم أنها تحبه ولكن يحاول أن يتجاهل ذلك الأمر حتى لا يخسرها.

وتأكد أنه لم يحب وعد، بل كان انبهارًا بها فقط!!

* * *

كانت سلمى تفكر في أي شيء يساعد حنين لتتحسن حالتها، فكرت في أن تلفت نظر وائل بطريقة غير مباشرة، ذهبت إلى مكتبه ثم..

وائل: ازيك يا سلمى، من يوم ما جينا من المشروع مختفية أنتِ وحنين ليه؟

– إيه ده تتحسد والله، أخيرا خدت بالك إن في ناس عايشة حواليك أصلا!

تعجب وائل من طريقتها ولكنه ابتسم قائلًا: ده أنتِ شكلك شايلة مني أوي .

– إحنا زمايل وأنا ملاحظة فيك الطبع ده، من يوم ما اشتغلنا سوا وأنت معظم الوقت ساكت كده، الله يكون في عونها اللي هتحبك ولا تحبها .

ضحك وائل: هو فين يا سلمى الحب ده بس، تفتكري أنا واحد زيي يتحب أصلا !

وهنا وجدت سلمى هاتفها يرن باسم حنين فقالت: دي حنين اللي بتتصل، أنا هخرج بقى علشان أرد عليها .

وهمت لتغادر، ولكنها التفتت إليه قبل أن تغلق الباب، ونظرت له نظرة ذات معنى ثم نظرت إلى هاتفها وقالت: وآه صحيح يا وائل، أنت ممكن يكون في حد بيحبك وقريب أوي منك، وبتشوفوا بعض كل يوم، بس أنت مش مدي نفسك فرصة، ركز ودور على الحب، الحب اللي ممكن تندم لو ضيعته من إيديك وعمرك ما هتلاقيه تاني.

ثم أغلقت الباب خلفها ولم تنتظر ردًا منه ، دعت الله في سرها أن يلتفت إلى حنين لعله يلحظ نقاءها وحبها له .

عادت وعد إلى مكتبها، وجدت نهى تنتظرها بلهفة قائلة: ها يا وعد، كان عاوزك ليه؟

تعثرت وعد، واحتارت هل تخبرها أم لا؟! ويا ليتها ما أخبرتها!

سمعت نهى ما قالته وعد، وشعرت أن أحدًا يُشعل نارًا في صدرها، ولكنها خشيت أن تعرف وعد حقيقة مشاعرها، فسرعان ما تصنعت الابتسامة قائلة: طب وأنتِ إيه رأيك، هتوافقي؟

وعد بتفكير: مش عارفة والله يا نهى، أنا هفكر وهبلغ ماما الأول .

فهمت نهى من حديثها، أنها من الممكن أن توافق، وكل تلك الأموال ستكون ملكها يومًا ما!

غضبت بشدة لأن سيف اختارها هي، وفضلها عليها، رغم أنها أكثر جمالا منها، وعزمت على ألا تترك وعد تهدم خططها هي ووالدتها.

* * *

أخبرت صفوة والدتها أنها في انتظار عبد الرحمن ليذهبا معا إلى شقتهما، ليطمئنا عليها لأن موعد زفافهما قد اقترب.

مر عبد الرحمن عليها وأخذها، ولكنه طلب منها أن يذهبا إلى المكتب أولًا، لأنه نسي مفاتيح الشقة هناك.

أوقف عبد الرحمن سيارته وخرجت صفوة، وصعدا إلى المكتب، وعندما فتح عبد الرحمن المكتب وجدا آخر ما كان يتوقعه!

وجدا علياء تجلس على مقربة شديدة من محمد وتمسك يده!

نظرت لها صفوة بازدراء، بينما نظرت لها الأخرى بكبرياء، وضم عبد الرحمن حاجبيه في غضب قائلًا: أظن يا باشمهندس محمد إن ده مكان شغل مش مكان!...

صمت محمد ولم يرد، فاضطر عبد الرحمن إلى أن يأخذ مفتاح الشقة ويغادر، وأخبر محمد أن لهما حديثًا آخر!

أغمض محمد عينيه في ألم، ثم أمسك رأسه بيديه قائلًا بقسوة: أرجوكِ كفاية اللي حصلي زمان بسببك، اتفضلي من غير مطرود يا علياء، أنا مش لعبة في إيديكِ، وقت ما تكوني مش عاوزاها ترميها، وفاكرة إنك لما تحتاجيها هترجعي تلاقيها لسة مستنياكِ، واللي أنتِ حكيتيهولي ده مش هيشفعلك عندي.

* * *

داخل سيارة عبد الرحمن

عبد الرحمن بغضب: أنا كنت متأكد إنها هترجع في يوم، بس مكنتش متوقع إنها هتكون لسة بالوقاحة دي، وعاوز أعرف قالتله إيه علشان يوافق يقعد معاها كده!

حاولت صفوة تهدئته، وطلبت منه أن يتحدث معه بهدوء حتى لا يخسره.

* * *

عادت وعد إلى بيتها، وظلت تفكر في حديث سيف

حدثت نفسها قائلة: طبعا تبقى مجنونة اللي ترفض واحد زي سيف، بس أنا شكلي هكون المجنونة دي!

تذكرت محمد، وشعرت بحزن شديد، لأنه تركها في أصعب الأوقات، وأشدها احتياجًا !

تساءلت كيف استطاع أن يكون بتلك القسوة، لماذا لم يضح من أجلها كما فعلت هي، تنازلت عن كبريائها لأجله، والنتيجة تكون أن يهجرها ويبتعد!!

* * *

وجدت نفسها تبحث عن مذكراتها لتكتب: حاولت أن أشغل وقتي بكل شيء يرهقني ويمنعني من التفكير بك ومراقبتك من وراء شاشة جامدة، تنفذ ما نأمرها به دون أن تمنعنا حتى لو كان هذا الأمر يقتلنا !

حدثت نفسي قائلة: لو كانت تلك الشاشة تعلم مدى إيذائي عندما أراقبك من خلالها، لصفعتني صفعات متتالية وقالت: اتركيني وكفي عن مراقبته أيتها الحمقاء، كفي عن إيذاء نفسك، هو لا يشعر بك!

ضحكت بشدة حتى أدمعت عيناي عندما تخيلت هذا، لا أعلم هل ضحكت من سذاجة تفكيري أم بكيت على حالي وضعفي معك، ضعفي الذي أمقته لأنه يجعلك أشد قسوة !

* * *

ليت العلاقات تدوم مثلما كانت في البداية، ليت الأشخاص يظهرون معادنهم الحقيقية في البداية ويتركوا لنا حرية الاختيار، قبل أن ندمن وجودهم وحينها لن نملك سوى اختيار واحد وهو أن يظلوا معنا مهما كان، سنعشق سيئاتهم وأخطاءهم أو ربما نراها مميزات أيضا.

* * *

في بيت نهى

قصت نهى على والدتها ما حدث، لترد والدتها بخبث قائلة: عارفة إيه اللي ممكن يخليه يصرف نظر عن البنت دي؟

سألت نهى باهتمام: إيه؟

أكملت والدتها، وعيناها مليئة بالشر: لازم يكره وعد، لازم يغير فكرته عنها ويشوفها مش مؤدبة .

شعرت نهى بالخوف يدب في جسدها، وقالت: لأ يا ماما، أنا مش ممكن أسوئ سمعة وعد مقدرش!

غضبت والدتها: لو معملتيش اللي هقولك عليه، كل حاجة هتضيع فاهمة!!

هزت نهى رأسها بالموافقة وقالت: طب أنا المفروض أعمل إيه؟

ابتسمت والدتها بخبث، ثم نظرت للفراغ كأنها تدبر لشيء ما، ثم قالت بنبرة مخيفة: أنا هقولك تعملي إيه.

* * *

اتصلت وعد بصفوة لتطمئن عليها، ولتحاول معرفة أي شيء عنه، فهي حتى إن لم تحادثه فستكتفي بمعرفة أخباره من بعيد .

قصت وعد عليها ما حدث، وألحت عليها أن تطمئنها عليه، أشفقت عليها صفوة، ولكنها رغم أي شيء هي أختها وتريد مصلحتها، فقررت أن تخبرها ما رأته في المكتب حتى تمتنع عن التفكير به!!

سمعت وعد ما قالته صفوة ثم....

- أنا كنت متأكدة إنه بعد علشان هي رجعتله، هي دي بقى الناس المهمة اللي مستنياه في المكتب، اللي مرضيش يطلع يشوفني علشانها!

- بصي يا وعد، محمد كويس جدًا، بس أنتِ عرفتيه في ظروف غلط، ظروف بيتصرف فيها عكس طبيعته، انسيه يا وعد وعيشي حياتك.

أغلقت الهاتف مع صفوة، ثم ضحكت بصوت عالٍ، ضحكت من كثرة الوجع، أو من كثرة الصدمة، يبدو أنها ستفقد كل شيء لو استمرت في تلك العلاقة لحظة أخرى.

* * *

- "مرت عدة أيام امتنعت فيها عن تصفّح الحاسوب، أغلقت هاتفي وحاولت الابتعاد عن كل ما يذكرني بك، أعلم أنك لن تحاول الاتصال بي ولكن فعلت هذا كي أمنع نفسي من السؤال عنك! أصبحت أعود من عملي متأخرة، ثم أذهب لممارسة الرياضة، بعدها أعد فنجانًا من

القهوة وأجلس لقراءة الكتب الجديدة التي كنت قد اشتريتها مؤخرًا ولم أقرأها بعد!

لم يتعدّ نومي الخمس ساعات في اليوم الواحد، في تلك الأيام أنهكت نفسي وجسدي أكثر من اللازم لدرجة أنني شعرت بأنين جسدي، شعرت أنه يشكو، يبكي ويصرخ من شدة الألم، كأنه يخبرني أن ليس له ذنبًا، رقّ قلبي لحاله ورفضت أن أكون قاسية مثلك، وقررت إعطائه هدنة ليستعيد عافيته"، كتبتها وعد وهي تجلس على مكتبها في وقت فراغها، وهنا دخلت نهى لتبدأ في تنفيذ خطة والدتها، التي أكدت عليها أن تنفذها بدقة، حتى لا ينكشف أمرها ولكن لا بد للشر أن ينكشف يومًا مهما طال به الأمد .

نهى بجدية مصطنعة: وعد، خدي افتحي الميل بتاعك من على فوني، علشان في حاجات مهمة مستر إبراهيم طلبها مننا، وأنا ميلي اتقفل .

وعد بعدم فهم: طب ما هو مفتوح على اللاب بتاعي وعلى الفون خدي ابعتيهم وخلاص .

نهى بارتباك: يا بنتي، خدي افتحيه من على فوني وخلاص، اللي يخليني أقعد أنقلهم يكون الوقت عدى.

استسلمت وعد لرغبتها، وأعطتها كلمة المرور الخاصة بها .

من أصدق ما قرأت: "إن الشيء الأسوأ في هذا العالم ألا تعرف النوايا الحقيقية للأشخاص تجاهك".

صنعت نهى حسابًا وهميا باسم رجل، وظلت ترسل إليه رسائل قبيحة من حساب وعد، واستغلت أنها ستغيب يومين، وعزمت أنها سترسلهم إلى سيف ليغير وجهة نظره بها.

* * *

استعدت وعد للذهاب إلى الإسكندرية، من أجل حضور زفاف صفوة.

مرت على فريدة لتطمئن عليها قبل أن تغادر، فأخبرتها فريدة أنها كانت عند الطبيب وأخبرها أنها تحمل في أحشائها طفلين، فرحت وعد واحتضنتها بشدة وهما يبكيان .

فريدة بحزن: كان نفسي يكون موجود معايا أوي يا وعد، انهارت من العياط لما الدكتور قالي روحي فرحي باباهم بقى .

ربتت وعد على ظهرها قائلة: هو أكيد حاسس بيكِ وهيحس بيهم لما ييجوا بالسلامة إن شاء الله، الحمد لله إن ربنا عوضك بجزء منه يا فريدة .

أومأت رأسها، فهي ولأول مرة تشعر أن عوض الله إذا حل أنسانا ما فقدنا.

وصلت وعد ووالدتها إلى الإسكندرية، ولكن شعورها يختلف تلك المرة عن ذي قبل، فهي الآن تشعر أن صدرها يضيق بهواء الإسكندرية، بعد أن كانت أحب الأماكن إلى قلبها.

إننا حين نحب شخصًا، لا نحبه هو فقط، بل نحب مدينته بأكملها وهواءها وكل شيء بها، وبيته وكل من في بيته ونحب كل شخص هو يحبه، وعندما نكرهه، نكره كل ذلك أيضا، لذلك يجب ألا نربط الأشخاص بالأماكن، لأننا إذا أحببنا شخصًا يعيش في مكان جميل سنكره هذا المكان إذا أغضبنا الشخص، فما ذنب المكان لنكرهه إذن؟!!

* * *

داخل المشفى....

وصل شهاب إلى العنوان الذي أعطته وعد له، وسأل داخل تلك المشفى عن طبيبة تدعى "سلمى محمود"، فأخبرته إحدى الممرضات أن مكتبها بالطابق العلوي .

طرق شهاب باب مكتبها وبعدما أذنت له بالدخول، شهاب بابتسامة: صباح الخير، عاملة إيه؟

سلمى وهي تنظر في الورق أمامها: صباح النور، أفندم؟

ثم أدركت أنها تعرف هذا الصوت جيدًا، فنظرت بسرعة لتجده هو بابتسامته الدائمة .

سلمى بتعجب: أنت إيه اللي جابك هنا، وعرفت إن أنا هنا ازاي؟

- اللي يسأل ميتوهش، وبعدين بما إننا أصحاب يعني وأنا أنقذتك قبل كده، فقلت آجي أطمن عليكِ يعني .

- أصحاب إيه يا بني أنت! هو أنا أعرفك أصلًا !

- إيه الندالة دي بس، ده أنا جايبلك ورد وشوكولاتة ومكلف نفسي يعني، مش كده .

نظرت إلى الصندوق الذي يحمله، ثم أخذته منه وبدأت تفتحه لتلتهم الشوكولاتة التي توجد بداخله .

ضحك شهاب بشدة على برائتها، ولكنها سرعان ما أدركت، فقالت وهي تأكل آخر قطعة من الشوكولا: إحنا كده بقينا أصحاب أوي يعني، وحق الصاحب على صاحبه إنه يدخل عليه كل يوم بهدية زي دي .

ابتسم شهاب قائلًا: طب وينفع صاحب ميكونش معاه رقم صاحبه؟
ضمت حاجبيها بغضب، فأنقذ نفسه قائلًا: أنا عاوزه يعني علشان لو لا قدر الله، كلب هجم عليكِ مرة تانية تكلميني علشان أنقذك.
ابتسمت رغما عنها ونظرت في عينيه، ليهزمها قلبها ويدق له رغم عنادها.

* * *

فهم وائل ما ترمي إليه سلمى، هو يعلم أن حنين تحبه منذ سنوات وكان سيعطي نفسه فرصة ليحبها ولكنه خشي أن يكون بمثابة أخ وصديق لها لا أكثر، ولكن الآن لَّمحت له سلمى أن حنين تحبه فقرر أن يذهب إليها .
ذهب وائل إلى مكتب حنين دون أن يرتب حديثه، وأخبر نفسه أنه سيتحدث معها كما يملي عليه قلبه أمامها.

* * *

داخل مكتب حنين

فرحت عندما وجدته يدخل عليها بابتسامة قائلًا: هو القمر مبقاش يسأل عليَّ ليه؟
ردت في خجل: لأ عادي مفيش، زهقانة شوية مش أكتر .

شعر وائل أنها تخبئ شيئا ما بداخلها، أول مرة يراها ويدقق في ملامحها هكذا، تبدو رقيقة حتى وإن كانت حزينة، رآها جميلة حتى والهالات السوداء تحيط بعينيها .

تعجبت من طريقته، وأخفضت بصرها في خجل، وائل بجرأة لم يعهدها هو في نفسه: حنين.. أنا بحبك، بصي أنا يمكن كنت بحبك ومش واخد بالي، بس لما بعدتي عني حسيت إن حياتي ناقصة، أنتِ اللي كنتِ بتكميلها، حتى لو ده مش معناه حب مش مهم بس المهم إنك تبقي جنبي دايمًا، الحب مش معناه إني قلبي يدق لما أشوفك وكده، في إحساس أعظم من الحب وهو الاحتياج، وأنا محتاجلك .

* * *

شعرت وكأن العالم أجمع أصبح مزينًا بالورود أمامها، لدرجة أنها ظنت أن هذا حلم، فلو كان حلمًا حقا، فهي لا تريد أن تستيقظ منه قط.

تأكد وائل أنها هي الأخرى تحبه، وود لو أنه نطق بتلك الكلمة منذ زمن ليرى جمال ابتسامتها ولمعة عينيها التي يراها الآن.

عندما وجدها صامتة، انتهز الفرصة ليكمل حديثه: وأنتِ كمان بتحبيني، أنتِ فاكراني مش حاسس، أنا حاسس بيكِ من أول ما قلبك

دق ليَّ، كنت بشوف في عنيكِ فرحة لما نبقى سوا، كنت بكدب نفسي، تعرفي كنت بقول لنفسي إيه؟ كنت بقول يا بخت اللي هتبقى حنين من نصيبه، وقلبها هيحبه كنت بحسد نفسي وأنا مش عارف.. يمكن كنت مستخسرك فيَّ، حنين.. تقبلي تتجوزيني وتشاركيني باقي حياتي؟

كانت تستمع إليه وهي تبكي، تبكي لأنه شعر بها بعد فوات الأوان، بعدما أصبحت لا تصلح لشيء.

حنين بضعف: أنا عندي كانسر في الرحم يا وائل، يعني حاجة من الاتنين يا إما هموت، يا إما لو عشت معاك واتجوزنا، مش هعرف أجبلك طفل.

في تلك اللحظة تذكر الورقة التي كانت على مكتبها، يا إلهي!! تلك الضعيفة تتحمل كل هذا، وأنا لم أشعر بها يومًا!!

وجد نفسه يقترب منها ويمسح دموعها قائلًا: من بكرة هتروحي لأحسن دكاترة، وهتخفي وهنتجوز ونجيب دستة عيال كمان، وحتى لو ربنا ما أرادش فأنا مش طماع، وعاوزك أنتِ بس.

أقسمت بداخلها أنها بعد هذا اليوم، شعرت وكأن عافيتها رُدت إليها كالطفل يوم ميلاده.

جاء يوم زفاف صفوة وعبد الرحمن، أو يوم عيدهما إن صح التعبير، اليوم الذي طالما عانى كل منهما للفوز بالآخر به.

كانا يضحكان من فرط السعادة، وصفوة تتشبث بيديه بقوة، وجاء وقت رقصة السلو، كانا يرقصان على أنغام الموسيقى الهادئة، ويشعران وكأن القاعة بأكملها لا يوجد بها سواهما

احتضنها عبد الرحمن وحملها وظل يدور بها وسط تصفيق وصفير المعازيم.

حاول محمد التحدث مع وعد أثناء الفرح، ولكنها كانت تتهرب من مواجهته، هي تعلم أنه سيبرر خطأه، وتعلم أيضا أنها ستصدقه .

في تلك اللحظة قررت ألا تحادثه مرة أخرى، حتى تظهر لها إشارة من الله تخبرها ماذا يجب أن تفعل، فهي دائما على يقين بأن الله لا يعلقها بشيء عبثا، ولذلك تترك الأقدار تسير وفقا لإرادة الله، فعلى أي حال لن يحدث إلا ما كتب الله لها.

انتهى الزفاف وقررت وعد أن تعود إلى القاهرة في نفس اليوم، حتى لا تترك مجالًا لقلبها أن يهزمها مرة أخرى.

❋ ❋ ❋

في اليوم التالي ذهبت وعد إلى العمل .

داخل مكتب سيف....

سيف وهو ينظر لها بازدراء: تقدري تاخدي باقي مرتبك من الحسابات، ومتجيش الشركة تاني، مفهوم!

شعرت وعد أنه يحدث شخصًا آخر غيرها، فنظرت حولها لتجد أنه هو وهي فقط داخل الغرفة .

وعد بصدمة: حضرتك بتكلمني أنا؟!!

سيف يبتسم باستخفاف: دور الطيبة والأدب ده خلاص اتكشف، وظهرتي على حقيقتك ياهانم .

حاولت وعد الدفاع عن نفسها: أنت بأي حق تكلمني بالطريقة دي!!

ذهب سيف إلى المكتب وأخرج هاتفه وأراها المحادثات المشبوهة بينها وبين أشخاص عدة .

تعجب سيف من نظرة الرعب التي ظهرت في عينيها، وكأنها لأول مرة ترى تلك المحادثات، ولكنه ظن أنها مازالت تتصنع .

- ها، الأكونت بتاعك ده ولا مش هو، صورك دي ولا صور مين، اتفضلي جاوبي؟!!

حاولت أن تتمالك نفسها وتتوقف عن البكاء: أيوة، دي فعلا صوري وده الأكونت بتاعي بس أنا مستحيل أعمل كده، مستحيل أقول كلام زي ده، أكيد في حد له مصلحة إنه يسوء سمعتي بالمنظر ده، لكن عموما أنا هخرج يا مستر سيف، بس عمري ما هسامحك على الإهانة دي .

ثم فتحت الباب وغادرت، ونهى تنظر إليها من خلف الباب بابتسامة خبيثة تعلن بها عن انتصار خطتها.

* * *

في غرفة صفوة وعبد الرحمن....

أمسك عبد الرحمن خصرها، ثم اقترب منها ليقبل جبينها، فأغلقت عينيها بسرعة، فقبل عينيها ثم هبط ليقبل عنقها فارتجفت شفتيها أثر لمسته، ثم أبعدته عنها قائلة: عبد الرحمن أنا آسفة، بس ينفع بلاش النهاردة، أنا مش مستعدة وخايفة.

نظر لها بحنو شديد وقال: يلا ادخلي غيري الفستان، والبسي اللي يريحك، وتعالي نتعشى سوا.

نظرت له بامتنان وابتسمت، ثم رفعت ذيل فستانها، وذهبت لتنفذ ما أمرها به، وحمدت الله أنها اختارت رجلًا مثاليًا، فرجل غيره لا يحبها، كان أخذها عنوة، حقًا فالزواج عن حب له مذاق آخر.

نادرًا ما تجد رجلًا يحب امرأة لأجلها، فالكثير لا يرى المرأة سوى جسد يفرغون به طاقاتهم وشهواتهم ثم يتركونها.

المرأة بسيطة، قد تسعدها كلمة صغيرة لا تكلفك شيئًا، يسعدها التقدير والحب، فإذا وجدت المرأة الحب والأمان لدى رجل، تظل شمعة تحترق كي تضيئ إليه طريقه وتسعده دائما.

* * *

هكذا مر العامان عليها.. كانا أسوأ عامين.

عامان مرّا عليها، تغيرت فيهما تماما، تحولت من طفلة تحب الحياة وتقبل عليها بكل طاقتها، إلى امرأة بائسة تكره كل من حولها، أصبحت لا تثق في أي شخص، بعد أن كانت تحب الثرثرة أصبحت كتلة من الصمت .

هما حقا عامان، ولكنهما قضيا على بقايا الطفلة بداخلها وكبرت فيهما عشر سنوات !

* * *

عودة إلى الوقت الحالي....

فعندما تركتها والدتها لتنام، ذهبت إلى غرفتها وشعرت أنها ليست على ما يرام، فقد اشتد عليها المرض، كانت تشعر بالحزن على الحال التي وصلت لها ابنتها، وتفتقد وجود زوجها أيضا، فلو كان بجانبهما لما حدث كل هذا!!

* * *

أما وعد فقد مرّت عليها أحداث تلك العامان لتؤلمها وتمنعها من النوم فظلت تبكي بحرقة، ثم نهضت من الفراش وأمسكت بقلمها وبدأت تكتب: "لقد كان فراشي أكثر وفاءً لي منك ومنهم، وربما من نفسي أيضا، فقد رفض أن أفارقه أو يفارقني، فكلما نهضت منه أجده يجذبني بشدة، كأنه يخشى عليَّ من مواجهة هذا العالم السيئ، يخشى أن يصيبني مكروه آخر، كان يشعر بي أكثر مما أشعر أنا بنفسي، كأنه يعلم أن جسدي وروحي المنهكان في حاجة شديدة إلى الراحة. دفنت رأسي في الوسادة وبكيت بشدة، بكيت لدرجة أنني شعرت أن نبضي سيتوقف، ولا أعلم كم مر من الوقت وأنا على هذه الحال، حتى وسادتي، لم تشكُ كثرة بكائي غير المبرر، بل ظلت تبتلع دموعي دون ملل، أيعقل أن يكون هذا

الجماد أكثر حنانًا من البشر؟! وأن يفعل الفراش والوسادة ما كان يجب أن يفعله بشر."!

* * *

شعرت أن رصيدها من البكاء لن ينفد فقررت أن توقفه هي، قبل أن يقضي عليها .

نهضت من فراشها، وذهبت إلى المرحاض لتأخذ حمامًا دافئًا وتتخلص من آثار حزنها، ثم ارتدت فستانًا أسود وسحبت مذكرتها من على المنضدة وغادرت المنزل، فقد شعرت أنها بحاجة إلى أن تختلي بنفسها لتصلح ما مضى، أو على الأقل لتبدأ حياة جديدة.

ذهبت إلى ذلك المقهى المشؤوم الذي جمعها به أول مرة، وما إن وضعت خُطوتها الأولى، بحثت على المنضدة التي جلسا عليها ولحسن الحظ أو لسوئه وجدتها فارغة، أسرعت إليها وسحبت المقعد، ثم جلست وأخرجت المُذكرة، وبدأت تكتب ما تشعر به....

"أجلس في المقهى الذي جمعني به أول مرة، أتخيل ملامحه على المقعد المقابل لي، شعرت به بقربي، نسيت أمر المسافات التي تفصل بيننا، نسيت النزاعات، نسيت صمته وقسوته!!

أنا حقا رغم كل ما حدث أفتقده، رغم غيابه وخذلانه، واختفائه أفتقده!!

أفتقد ابتسامته الهادئة الرجولية، أفتقد نظرته الحادة حينما أُثير غيرته بحديثي أو ملابسي، أفتقد ابتسامته حينما يُثير غضبي ومن ثَم أتحول إلى وحش مُفترس وتتبدل ملامحي، وتختفي أنوثتي حينما ينعقد حاجبيَّ، ألم يشتاق إليّ هو الآخر؟! هو يعلم أنني لا أقوى على الصعاب دونه!

جاء النادل وسألني ماذا أريد؟

أخبرته أنني أريد قهوة .

لم يغب سوى خمس دقائق، أحضر لي القهوة، ويا ليته ما أحضرها، بمجرد أن رأيتها توغَّلت رائحتها في أنفي وقلبي وجسدي، أيقظت شوقي إليه أكثر.

ماذا لو وجدته يفتح باب المقهى الآن ويتجه نحوي، يحتضنني ويعتذر عن خذلانه المتكرر، عن اختفائه في أشد الأوقات احتياجا له، ينظر لي مطولا، ويحتضن يدي بين راحة يديه، أقسم أنني سأغفر له، بعدما انتهيت من قهوتي نظرتُ سريعا نحو باب المقهى لعلّ خيالي يُحالفني تلك المرة!

ولكن كالعادة وجدت أن المقهى قد أصبح شبه خاليًا إلا من رجلين وامرأتان يتبادلون أطراف الحديث، نظرتُ إلى فنجان القهوة وجمعت أشيائي وغادرت.

لأنني حتى لو مكثتُ لشهرين أو أكثر في هذا المكان فلن يأتي، لأنه لا يعرف أي شيء عني، لا يعلم هل أنا في البيت أم في العمل أم أمارس الرياضة، أم مع صديقاتي!

فهو حتى لا يُكلف نفسه مكالمة هاتفية مدتها دقيقتين، ليطمئن عليّ.

* * *

أخاف أن ينتهي العالم قبل أن أراك، قبل أن ترى نفسك في عينيّ وتعلم كم أحببتك، قبل أن تختلط برودة كفيك بدفء كفي، قبل أن أبكي على كتفك وأخبرك عن قسوة العالم دونك.

إن كنت لا تريد رؤيتي فأنا لا أريد سوى رؤيتك، لعل المسافات والظروف تكون أقل قسوة منك وتخضع لإرادتي وأراك قريبا!!!

* * *

بعدما غادرت المقهى، هاتفتها صفوة وأخبرتها أنها تنتظرها هي وعبد الرحمن في مكانها المفضل، ويجب أن تأتي ليقضيا يومًا ممتعًا.

خضعت وعد لرغبتها لأنها أيضا تفتقدها، فهي لم ترها منذ يوم زفافها.
فضلت أن تذهب إلى المقهى سيرًا على قدميها، مرت ذكرياتها معه أمام عينيها، أصبحت ترى ملامحه في وجوه كل العابرين، وترى نفسها معه، إذا رأت عاشقين سعيدين معًا أجفلت عينيها في حزن وبدأت تتذكر حينما كانت تجلس معه على شاطئ البحر واختارت أن تشرب قهوة، تذكرت رد فعله حينها حيث رفض وقتها بشدة لأنه يعلم أن الكثير من القهوة يؤذيها، ولكن أمام حُزنها لم يستطع سوى أن يلبي رغبتها ولكن على طريقته الخاصة، فبدلا من أن يطلب من النادل أن يحضر فنجانين، طلب منه فنجانًا واحدًا ليتقاسماه سويًا.
هربت دمعة من عينها لتعلن عن الحنين إليه، فقد أبى قلبها النسيان وعقلها لم يختلف عن قلبها، فكلاهما يريده، كلاهما يتذكره، كلاهما قد غفر له، إذن فليعُد!!
ذهبت وعد إلى المكان الذي أخبرتها به صفوة، ووجدتها تنتظرها بالفعل، تبادلا أطراف الحديث لمدة نصف ساعة ثم..
نظر عبد الرحمن لصفوة نظرة ذات معنى عندما رأى محمد يقترب، فسرعان ما فهمتها وسحبت حقيبتها قائلة: وعد.. أنا عاوزاكِ تهدي

وتتفاهمي مع محمد، هو جاي هناك أهو، وإحنا هنقعد على الترابيزة اللي هناك دي.

نظرت وعد لها بغضب، ثم قالت: بتحطيني قدام الأمر الواقع يعني يا صفوة!

- شوفي هو هيقولك إيه، إحنا كنا ظالمينه، وأولهم أنتِ.

جاء محمد ثم سحب المقعد المقابل لها وجلس، ظل ينظر إلى عينيها ولا يعرف من أين يبدأ حديثه.

تحدثت أخيرًا بعد صمت دام أكثر من ساعتين....

- تعرف.. أنا مكرهتكش، بس بسببك أنت كرهت نفسي، كرهت ضعفي اللي بسببه أنت قويت عليَّ، كنت عارف إنك هتكسرني وكملت، كنت عارف إني بتعلق بيك كل يوم أكتر من اليوم اللي قبله واتماديت في معاملتك معايا، اتماديت في حنيتك واهتمامك وسؤالك عليَّ ولما جيت أبعد عنك علشان أنقذ نفسي منعتني، ليه عملت كده؟ شوفت مني إيه وحش يخليك تبقى عارف إنك هتدمرني وتستمر! أنا أستاهل كل ده؟!! لو كنت عرفتني فترة علشان تنساني بيها، كنت قولي، أو على الأقل كنت

صدني، إنما أنت عملت كل حاجة، كل حاجة يا محمد تثبتلي إنك بتحبني، معاملتك ليَّ وكلامك مكانش كلام مجرد اتنين أصحاب أبدا!

نهض محمد وجلس على المقعد المجاور لها واحتضن يديها قائلًا: يا وعد اهدي، علشان خاطري اهدي، أنا عارف إني وجعتك بس من غير ما أقصد والله، أنا مستاهلش إنك تعملي كل ده علشاني .

سحبت يديها بقوة وكأنها تحميها منه، وكأنه أصبح شيئًا يرعبها وتخشى أن يؤذيها .

أيعقل أن يأتي يوم ويرعبك وجود أكثر شخص كنت تشعر بالأمان معه!

صُدم من ردة فعلها، ومن نظرة الفزع التي رآها في عينيها، شعر بخزي شديد لأنه هو من أوصلها لهذا!

شعر بالذنب لأنه بدل ملامحها، بعد أن كانت تضحك دائما أصبح الحزن يظهر جليًا على ملامحها.

هي كانت حزينة بما يكفي، فهو بدلا من أن ينقذها من همومها، أغرقها أكثر.

* * *

طيب ممكن تسيبيلي فرصة أدافع فيها عن نفسي، وبعدها اعملي اللي أنتِ عايزاه؟!

قالها محمد بحزن شديد.

صمتت ولم ترد، فأكمل: مبدئيا كده، أنا محبتش في حياتي قدك، أنتِ الوحيدة اللي عوضتني عن كل حاجة من غير ما أطلب منها ده، بس أنا بعدتك عني علشان خايف يا وعد، خايف عليكِ، أنا كنت عاوزلك حد يستاهلك، يستاهل قلبك، يستاهل طيبتك وروحك وكل الجمال اللي جواكِ ده، أما أنا قلبي من كتر الوجع اللي فيه مبقاش عاوز يدخل حد تاني حياته!

ردت عليه وهي تجهش بالبكاء: أنا مطلبتش منك إنك تكون ملاك، كلنا بنغلط، ومش معنى إننا قابلنا حد وحش يبقى كده خلاص الدنيا وقفت، أنت حتى يا محمد محاولتش تتغير علشاني، لو أنت بتحبني كنت على الأقل حاولت، مجرد محاولة بس إنك تبدأ من جديد مش تستسهل وتهرب زي الأطفال!

- ممكن تهدي علشان خاطري وبلاش عياط، مينفعش عروسة تدخل الفرح وعنيها تعبانة كده.

نظرت له بعدم فهم قائلة: عروسة! مين دي اللي عروسة؟

- ابتسم ثم نظر إلى عينيها بحب قائلًا: أديني يا ستي متصرفتش زي الأطفال واتصرفت زي الرجالة أهو، وكلمت باباكِ ومامتك وطلبت إيديكِ منهم وهما وافقوا، أنا مش هستحمل تبعدي عني تاني.

ودت لو تحتضنه الآن وتقبّله أيضا من فرط سعادتها، وتخبره أنها لا تريد شيئًا من هذا العالم سواه.

ولكنها لا تعرف كيف امتلكت الشجاعة التي جعلتها تقول: أنا بقى اللي مش عاوزاك يا محمد، أنا اللي مش هضيع وقت تاني من عمري إني أكون استبن في حياتك، أنا مستاهلش إن حد يقلل من قيمتي، أنا عرفت قيمة نفسي كويس أوي ومش هفرط فيها تاني!

❋ ❋ ❋

لا تعُد فحبي ليس مقعدًا في حديقة عامة،
تمضي عنه متى شئت، وترجع إليه في أي وقت
لا تعتذر!!
فالرصاصة التي تُطلق لا تُسترد.

غادة السمان

كان يتوقع رد فعلها هذا، فهي على حق، هو أخطأ ويستحق هذا العقاب منها، ولكنه في الوقت نفسه كان يعلم أنها تحبه وستعاقبه بطريقتها وفي النهاية لن تستطيع العيش بدونه.

لذلك سيبذل قصارى جهده كي يرضيها .

* * *

مرت ثلاثة أشهر على هذا اليوم....

عاد والد وعد من سفره، بعدما اتفق محمد معه على كل تفاصيل زفافه هو ووعد، وعاش بجانبهم ووعدهم ألا يتركهم مرة أخرى، فأصبحت لحياتهم معنى.

تزوج وائل وحنين، والآن هي حامل بشهرها الأول .

شهاب وسلمى كُتب كتابهما، ويستعدان للزفاف .

علم سيف بالصدفة أن نهى هي التي فعلت هذا بوعد، وطردها من الشركة في الحال، فخسرت صديقتها وعملها وكل شيء، وتلك هي النهاية المتوقعة للشر.

أما عن فريدة فقد أنجبت حسام ورؤى، وفرحت بهما كثيرًا وشغلا كل وقتها، وبدأت تفيق من صدمة وفاة زوجها.

إن النهايات السعيدة لا تأتي بسهولة ولكن يجب أن نمُر بكثير من الصعاب من أجلها، لذلك يجب علينا أن نصبر وننتظرها
لأنها مهما تأخرت، ستأتي لتسعدنا بحجم انتظارنا لها.

* * *

أما وعد، فقررت أن تلقنه درسًا لا ينساه طوال حياته، واستجابت ولأول مرة إلى عقلها، تركت قلبها جانبًا، لأنه دائمًا ما يورطها.
كانت تتلقى محاولات محمد في إرضائها بمنتهى السعادة، أرادت أن يتبادلا الأدوار، أرادته أن يشعر بعذابها وشوقها إليه.
والغريب في الأمر أنه كان يتعلق بها أكثر ويرسل لها الرسائل كل يوم ويهاتفها، ويجعل كل من يعرفهما يحدثها عنه لعل ذلك يشفع له عندها .

* * *

أرسلت إليه رسالة واحدة وهي.....
"قراري هذا ما هو إلا نتيجة أنت سببها، لطالما استنجدت بك وطلبت منك أن تبقى، ولكنك لم تفعل، لطالما أخبرتك أنك أنت السند لي، ولكني سقطتُ لأن سندي كان هشًا، تعمدت أن تقسو، فقسوت

بصمتك وإهمالك ونظراتك الباردة، كنت أود أن تنهرني، أن تناقشني في أفعالي، أن تقدم لي النصائح، أن تفعل أي شيء ولكن لا تصمت هكذا!

أنا امرأة لا تُغريني الأشياء التقليدية، الأشياء المتاحة للجميع، ولذلك أحببتك، أحببتك لأنك لست كجميع الرجال، كان وجودك يلغي قدسية الرجال من حولي، كنت على يقين أن مظهرك القوي ما هو إلا قناع يختبئ خلفه حنانك وطفولتك، لا يهمني أن الجميع يراك رجلًا صامدًا، ولكن أنا أراك طفلي حينما تحدث أشياء تزعجك، تتظاهر بالصمود أمام الجميع، بينما أطلب منك أن تنهار أمامي، أن تريني حقيقتك، ولكنك فضلت الهروب بدلًا من المواجهة" .

* * *

رغم محاولاتها الكثيرة في تعذيبه، إلا أنه جاء يوم ورقّ قلبها لحاله، وقررت ألا تضيع لحظة أخرى من عمرها بعيدًا عنه، ففي النهاية هي تحبه!

وها هو قد عرف قدرها، وأثبت لها أن حبه أفعال لا أقوال، وبالفعل وافقت وعد على الزواج منه، وكيف لا توافق وتلك هي رغبتها التي تراودها كل يوم.

- "القهوة رغم أنها تسبب اضطراب في ضغط الدم إلا أنها تعمل على تحفيز هرمون السعادة وتجعلك تتوقف عن الشعور بالتعب لمدة ثلاث ساعات تقريبا إلى أن يختفي تأثير الأدرينالين ومن ثم تخور قواك، هذا هو الحال معه رغم كل ما يسببه من أذى إلا أن وجوده يجعلني أتوقف عن الشعور بالتعب، وغيابه يهدم قواي، إذن صدقت حين أسميته "شخص على هيئة قهوة""، كتبتها وعد بآخر صفحة في مذكراتها وهي تحتسي كوبًا من القهوة بعدما غفى طفلها على ركبتيها.

يبدو أن إدمانها لحبيبها وقهوتها، كان أقوى من أن تُقلع عنهما!!

سُئلت وعد ذات مرة من إحدى صديقاتها: منذ متى شرعت في الكتابة؟

نظرت للفراغ ثم قالت: "منذ أحببته، منذ أوجعني، منذ أن تركني بجسده فقط وظلت روحه عالقة بقلبي، منذ أن أخبرته أن غيابه يقتلني، واستمر في الغياب كأنه يتلذذ برؤيتي وأنا أتألم، كأنه يعاقبني على ذنب لم أرتكبه، كأنه يعاقب كل من تركوه بي، وعندها أدركت أنني بحاجة إلى البوح عما بداخلي، فلجأت إلى الكتابة ولكنني وجدت نفسي أكتب إليه، فتارة أحبه وتارة ألعنه على غيابه وضعفه، وتارة أشتاق إليه، وتارة

أشكوه إلى نفسه، حينها فقط أدركت أنني مريضة به والشفاء منه شبه مستحيل !!!

كنت أعتقد أنني حينما أكتب عنه سينتهي بداخلي وسأُشفى منه، سأنثره على الورق ليخرج من قلبي، ولكني اكتشفت أنني كلما كتبت عنه تشبثت به أكثر، وظلت ذكرياتي معه تطاردني وتظهر أمامي في كل شيء وليس على الورق فقط!

الحقيقة المؤلمة هي أن كتاباتي ستجعله حيًا مهما حدث، حتى إن مت أنا ومات هو، فإن كتاباتي لن تمُت أبدًا".

❄ ❄ ❄